ردّ القمص سرجيوس

على

المنتصر المهدى

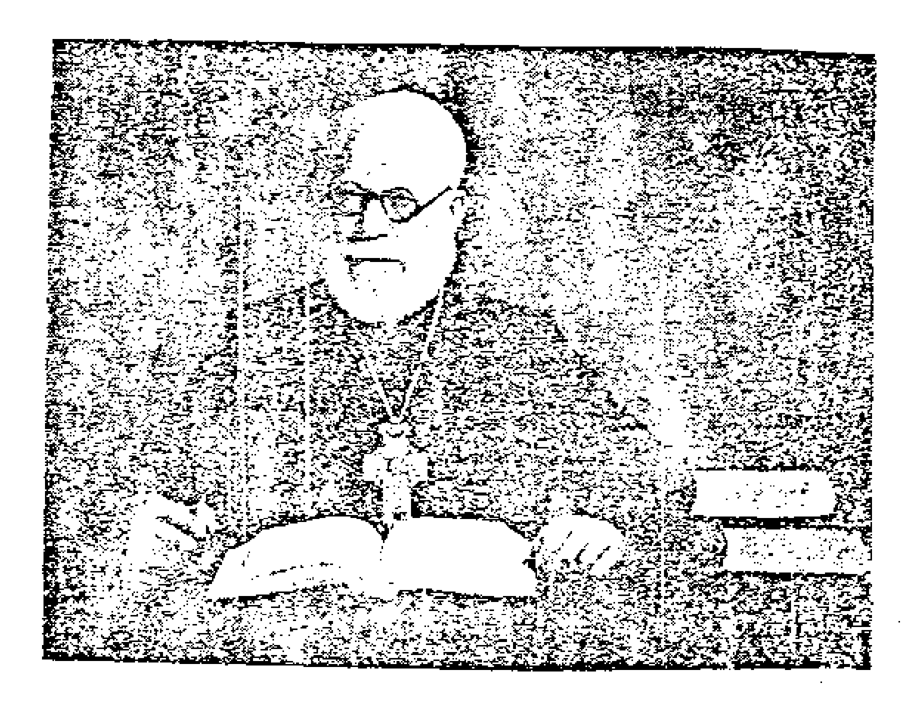
حول حقيقة صلب المسيح وموته

سنة ١٩٤٧

في يوليو ١٩٤٧

يصدر بمشيئة الله الكتاب السادس

رد القمص سرجيوس
على
القائلين بتنبؤ التوراة والانجيل عن محمد



القمص سرجيوس

١ - رد القمص سرجيوس

على الشيخ الطنيخى وآخرين - حول سر المائدة أو القربان وموضوعات أخرى

٢ - رد القمص سرجيوس

على القائلين بتحريف التوراة والانجيل أو تغييرهما وتبديلهما ونسخهما

٣ - رد القمص سرجيوس

على الشيخ العدوى - حول التثليث والتوحيد

٤ - رد القمص سرجيوس

على الشيخين الطنيخى والعدوى - حول تجسد الله ولاهوت المسيح

ثمن الكتاب الواحد ١٠ قروش وأجرة البريد ٣٢ مليما وتطلب من مجلة المنارة المصرية بشارع الزهار ١٧ بالقللى بمصر تليفون ٤٥٥٣٠

المقدمة

حمداً لمن أسر القلوب والعقول على اختلاف درجاتها وميولها واتجاهاتها لا بقوة السيف ولا باغراء المال ولا حتى باقناع البرهان العقلي بل بسر الصليب الذى لا يدركه الناس بالبرهان فكان لليهود عثرة ولليونانيين جهالة ومع ذلك فقد اقتدر الصليب أن يهدم حصونا وظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله

ومجداً للمصلوب الذى أخضع بواسطة رسله كل العالم وقد كانوا قلة لاتذكر صيادين فقراء اميين حقيرين نادوا باله مصلوب يجب له السجود والعبادة ويلزم الاعتقاد به كمخلص العالم . ونادوا بشريعة مضادة للجسد والطبيعة البشرية فلبى العالم الدعوة واستجاب الناس نداءهم فى مدة وجيزة

والمسبح للذى افتدى الانسان بالصليب وعدلة تأله لا بالقوة والحكمة البشرية بل بجهالة الكرازة

نسأله تعالى أن يجعل هذا الكتاب الصغير الحجم الضعيف التأليف . الركيك التعبير ، الصادر عن عاجز حقير مثلنا . قوة تنفذ بفعل روح الله القدوس الى أعماق القلوب فتشرق عليها أنوار الصليب وجلال التضحية فتسقط الأنانية قاتلة العالم ومدمرته . انه سميع مجيب

القمص سرجيوس

حقيقة صلب المسيح وموته

بعث الينا من يدعى المنتصر المهدى خطاباً مؤرخاً ٣٠ - ١١ - ١٩٣٥ نشرناه ذلك الوقت بمجلتنا المنارة المصرية . وكان خطابه مرفقاً بنبذة قال أنها أهديت اليه من أصحابه لتشجيعه على البقاء فى الاسلام وأنه بدوره وجهها الى بعض المسيحيين فاشاروا عليه ان يبعث بها الى القمص مرجيوس فعمل بمشورتهم وبعث بها الينا للرد عليها وقال : وفى حالة عدم الرد يعتبر هذا منا بمثابة اعتراف بصحتها .

والنبذة مكتوبة بخط اليد عن وحدانية الله والآيات الدالة على نبوة محمد فى الاناجيل وعقيدة المسلمين فى رفع المسيح

فشكرناه على صفحات المجلة لاهتمامه بالبحث ولتوجيه الرسالة الينا ولفتنا نظره الى ان هذه المباحث والردود سبق فنشرناها فى مجلتنا وأشرنا عليه بمراجعتها . أما مسألة موت المسيح على الصليب ورفعه الى السماء فوعدناه بالرد عليها وفعلا قد أنجزنا وعدنا كما ترى فى هذا الكتاب .

جاء فى النبذة ... فى الانجيل والتوراة عبارات تطابق ما جاء فى القرآن الشريف قوله : يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة الى قوله - وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما . وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً (سورة النساء) . انتهى

ونحن قبل أن نجيب بكلمة من عندنا ردا على ما قصده صاحب النبذة وما فهمه من هذه الآية القرآنية رأينا من المناسب أن نورد آراء المفسرين من أئمة الاسلام فى هذه الآية

آراء مفسرى القرآن

قال امام المحققين وقدوة المدققين القاضى ناصر الدين البيضاوى : روى ان رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه أيكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فأخذ وصلب . وقيل دخل طيطاوس اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده وألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وصلب . وقيل لم يقتل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت (البيضاوى الجزء الثانى ص ١٢٧ و ١٢٨)

والامام الفخر الرازى وهو من أئمة المسلمين وكبار المفسرين للقرآن قد اعترض على هذه الآراء فقال : ان جاز ان يقال ان الله تعالى يلقى شبه انسان على انسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة . فانا اذا رأينا زيداً فلعله ليس زيد ولكنه ألقى شبه زيد عليه وعند ذلك لا يبقى النكاح والطلاق والملك موثوقاً به . وأيضاً يفضى الى القدح فى التواتر لان خبر التواتر انما يفيد العلم بشرط انتهائه فى الآخر الى المحسوس . فاذا جوزنا حصول مثل هذه الشبهة فى المحسوسات توجه الطعن فى التواتر وذلك يوجب القدح فى جميع الشرائع . وليس لمجيب أن يجيب عنه بأن ذلك مختص بزمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لانا نقول لو صح ما ذكرتم فذلك انما يعرف بالدليل والبرهان فمن لم يعلم ذلك الدليل وذلك البرهان وجب ان لا يقطع بشيء من المحسوسات ووجب أن لا يعتمد على شيء من الاخبار المتواترة وايضاً ففتح هذا الباب يوجب الطعن فى التواتر . والطعن فيه يوجب الطعن فى نبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهذا فرع يوجب الطعن فى الأصول (الفخر الرازى الجزء الثالث ص ٣٤٠ و ٣٤١)

وملخص كلام الفخر الرازى هو انا اذا سلمنا بالقاء شبه المسيح على شخص آخر صلب عوضاً عنه نفتح باباً للطعن فى كل حوادث الانبياء وندخل السفسطة فى كل

https://coptic-treasures.com/

المسائل الجوهرية فيبطل الزواج والطلاق والتملك لانه يمكن القول : ان زيداً ايتى زوجها لزينب بل شبهه وقع على آخر فظنوه زيداً وهو ليس بزيد . وان محمداً لم يتزوج عائشة بل وقع شبهه على آخر فتزوجها باعتباره محمداً وهو ليس بمحمد وان عمراً لم يشتر هذا البيت بل وقع شبهه على حسن فاشترى حسن البيت باعتباره عمراً وعمر نفسه لم يشتره ، وذلك لأن الدليل المحسوس يصبح مشكوكا فيه ولا يمكن الاعتماد عليه

وفضلا عما اعترض به الفخر الرازى على هذه الآراء السقيمة التى لا تحتاج فى تسفيهها الى أدلة خارجية اذ تحمل دليل بطلانها بما حوته من تناقض لان المفسرين الذين قالوا بها لم يستطيعوا الاتفاق على رأى سديد أو رواية صادقة فقالوا

(١) ان شبه المسيح وقع على احد الذين كانوا مزمعين أن يقتلوه

(٢) وفى رواية أخرى ان شبه المسيح وقع على احد اتباعه برضاه

(٣) وفى رواية غيرها ان شبه المسيح وقع على رجل خبيث ترك يسوع ودل اليهود عليه

(٤) وفى رواية أخرى انه لم يصلب ولم يقتل أحد بل أرجف (اى اشيع) بأنه مات فشاع ذلك بين الناس

(٥) وفى رواية ايضا . صلب الناسوت وارتفع اللاهوت .

فهل ينتظر أصحاب هذه الآراء المتناقضة ان يجدوا مسيحيا يلغى عقله فيترك عقيدته التى اتفق عليها جميع رسل المسيح المؤيدين بالروح القدس بعمل العجائب والمعجزات ، وآمن بها جميع العالم المتمدين وغير المتمدين ووصلت اليهم بالتواتر وصادق عليها التاريخ واعترف بها خصوم المسيحية وسجلتها ضابط الحكومة الرومانية التى حكمت على المسيح ذلك الوقت بالموت ؟ ! أيترك عقيدته هذه ليعتنق عقيدة لم يبنها معلنوها على حقيقة ثابتة بل على روايات يناقض بعضها بعضا؟! روايات لم يسلم بها أكبر أئمة الاسلام ولا استساغ لها طعما ولا أقام لها وزنا بل وجد فيها كل ما هو هدام للدين ومناقض للدليل ومناف للبرهان ومفسد لحقيقة الزواج والطلاق

ومضيع للتملك ومفقد للثقة وويل للعالم اذا فقدت منه الثقة فى كل شىء وما الايمان الا الثقة بما يرجى والايقان بأمور لا ترى

من أين استقوا هذه الآراء ؟

ان مفسرى الاسلام لم يستقوا هذه الروايات من مصدر له صفة تاريخية يرجع الى شهادة عين بل الى أوهام وتزوير العصر المتأخر الذى ظهر فيه الاسلام فلقد استقى مفسرو الاسلام من طائفة تدعى الغنوسيين يحتقرون الايمان ويقولون انه يناسب الجهلاء فقط ويعلقون أهمية كبرى على المعرفة والعلوم النظرية وسموا أنفسهم غنوسيين وهى كلمة يونانية معناها رجال المعرفة أو العلم . وأول من أدخل هذه الفلسفة الغنوسية الى الاسكندرية هو باسيليدس فى سنة ١٢٥ - ١٥٠ ميلادية وهذه بعض عقائد الغنوسيين الذين أخذ عنهم مفسرو الاسلام قالوا :

(١) ان الله جعل منذ الازل عدداً من الارواح الالهية تنشق منه وهى تنقص قوة وشرفاً . وان هذه الارواح خلقت الهاً دونها اعتبروه اله اليهود الذى خلق العالم الظاهر من المادة . وان اله اليهود اتحد بالانسان يسوع اى بمسيح اليهود عند معموديته وتركه عند ما أمسكه اليهود وصلبوه لذلك ان ناسوته قد صلب وأما لاهوته فرفع الى السماء

(٢) وقال آخرون منهم ان يسوع المسيح تبادل وسمعان القيروانى أو غيره الهيئات حتى ان اليهود اخذوا سمعان وصلبوه . وأما يسوع فنجا وأرجع الى السماء

واسمع أيها الأخ العزيز ما يقوله الفخر الرازى امام المفسرين للقرآن : « ان فرق النصارى وهى النسطورية والملكانية واليعقوبية . اما النسطوريه فقد زعموا ان المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وأكثر الحكماء يرون ما يقرب من هذا القول . قالوا لانه ثبت ان الانسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو أما جسم شريف منساب فى هذا البدن واما جوهر روحانى مجرد فى ذاته وهو مدبر فى هذا البدن . فالقتل انما ورد فى هذا الهيكل وأما النفس التى هى فى الحقيقة عيسى عليه

السلام فالقتل ما ورد عليه . لا يقال مكل انسان كذلك فما الوجه لهذا التخصيص لانا نقول ان نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الاشراق بالانوار الالهية عظيمة القرب من أرواح الملائكة والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن ثم انها بعد الانفصال من ظلمة البدن تتخلص الى فسحة السموات وأنوار عالم الجلال فتعظم بهجتها وسعادتها هناك . ومعلوم ان هذه الا[حوا]ل غير حاصلة لكل الناس بل هي غير حاصلة من مبدأ خليقة آدم عليه السلام الى يوم القيامة الا لاشخاص قليلين فهذا هو الفائدة من تخصيص عيسى عليه السلام بهذه الحالة

واما الملكانية فقالوا القتل والصلب وصلا الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة . وقالت اليعقوبية القتل والصلب وقعا بالمسيح الذى هو جوهر متولد من جوهرين (الفخر الرازى جزء ٣ ص ٣٤١)

فن هذا ترى أيها الأخ العزيز ان المفسرين المسلمين قد استقوا آراءهم من آراء المبتدعين من المسيحيين لأنهم وجدوا فيها ما يساعدهم على نفي صلب المسيح وبا[ت] هؤلاء المفسرين ان هؤلاء المبتدعين من المسيحيين بالرغم من بدعتهم فانهم كانوا يعتقدون بلاهوت المسيح وأنه ابن الله لذلك صعب على عقولهم أن تصدق وقوع الصلب عليه وخضوعه الموت فراحوا يوردون هذه الآراء ليوفقوا بين اعتقادهم بلاهوت المسيح وبين حادث الصلب المؤكد الثابت

فاذا قال أولئك الغنوسيون وغيرهم من أصحاب البدع بهذه الآراء فذلك لأنهم يعتقدون بأن المسيح اله وانسان معاً ولذا قالوا ان القتل لم يقع على اللاهوت بل على الناسوت

ولكن ما عذر المسلمين فى نفي الصلب والموت عن المسيح وهم لا يعتقدون بلاهوته بل يقولون انه مجرد انسان فقط . والانسان بطبيعته قابل الموت والصلب ؟! ولماذا تتشنج الاعصاب اذا ما سمعوا المسيحيين يقولون ان المسيح صلب ومات ؟ فاما ان المسلمين يعتقدون ان المسيح اله فينزهونه عن الصلب والألم والموت واما انهم ناقلون آراء غيرهم بلا تروٍ ولا فحص ولاتدقيق على حد القول (بخطب رأس الكبة وبطير)

[فا]ن كانوا الأول فقد اتفقوا معنا فى القول ان المسيح مات بناسوته حى بلاهوته وبذا ينتهى الاشكال ويقف الامام الفخر الرازى عن احتجاجه ومعارضته اذ يكون معنى [«] وما قتلوه يقيناً » ان اليهود لم يستطيعوا ان يقتلوا اللاهوت ولا صلبوه ولا أوقعوا [به] ألماً حقيقياً انما قتلوا الناسوت فقط وبهذا يقف المسلمون فى صفوف المسيحيين يشدون معهم للمسيح قائلين : قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت الذى صلب عنا . ويقف القرآن الى جانب الانجيل الذى يقول انه نزل مصدقاً له ويصيح مع الرسول بطرس : فان المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار [من] أجل الأثمة لكى يقربنا الى الله مماتاً فى الجسد ولكن محيي فى الروح (١ بط ٣ : ١٨)

دحض أراء مفسرى الاسلام

(١) انها لخرافة يعزونها الى المسيح بل هى افتراء على مبادئه السامية حين ينسبون [ال]يه معجزة مسخ الناس المخلوقين على صورة الله ومثاله الى قردة وخنازير لأنهم سبوه وأمه وهذه الخرافة تخالف القرآن والانجيل معاً . فلقد ذكر القرآن عجائب المسيح ومعجزاته الباهرة فلم ترد هذه الخرافة ضمن معجزاته فجاء فى سورة المائدة قوله « اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ ايدتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً باذنى وتبرىء الأكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك ... قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين »

[فمن] هذا ترى أن القرآن لم يذكر ضمن معجزات المسيح هذه الخرافة فلو ان لهذه [ال]خرافة وجوداً لكان قد ذكرها القرآن عند قوله : « وكففت بنى اسرائيل عنك » [ب]ان مسختهم قردة وخنازير ولقد ذكر القرآن ان اليهود قالوا على مريم بهتاناً عظيماً [(] سورة النساء) ومع ذلك لم يذكر ان المسيح دعا على من سبوا أمه .

ومحال ان ينسب القرآن هذه الخرافة الى المسيح لأن القرآن اعترف بأن المسيح

رحمة لا نقمة وديع هادىء وليس قاسيا جباراً فقد جاء فى (سورة مريم) قوله عن المسيح : « ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا . . ولم يجعلنى جبارا شقيا » .

فما ورد فى القرآن عن عجائب المسيح لا ترى سوى تفتيح العميان واقامة الموتى وتطهير البرص وانزال مائدة لتكون عيداً وفرحا للاولين والآخرين . ترى عجائبه الباهرة هى منح الناس ما حرمتهم الطبيعة ورد ما سلبته الامراض منهم ولم يقل عنه أنه سلب الناس صحتهم أو نزع حياتهم أو أضاع عقولهم أو قلب طبيعتهم البشرية الى قردة أو خنازير

أما الانجيل فبرأ من هذه الخرافة لان ما ورد فيه يعبر عن شعور المسيح الرقيق وعطفه الفائق على الناس وصفحه العجيب عن المسيئين اليه ومعاملته الوادعة لاعدائه . فقد ذكر الانجيل عنه عندما أراد ان يدخل السامرة ورفض اهلها ان يقبلوه قال له اثنان من تلاميذه أتريد ان نقول ان تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل ايليا فالتفت وانتهرهما قائلا لستما تعلمان من أى روح أنتما لان ابن الانسان لم يأت ليهلك انفس الناس بل ليخلص (لو ٩ ، ٥٢ - ٥٦)

وفى ليلة القبض عليه أراد بطرس ان يدافع عنه فاستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه اليمنى فقال له يسوع رد سيفك الى مكانه لان كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . اتظن انى لا أستطيع الآن ان اطلب الى ابى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة . . . فأجاب يسوع وقال دعوا الى هذا ولمس أذنه وابرأها (انظر متى ص ٢٦ ولو ص ٢٢)

ولما علقوه على الصليب واذاقوه العذاب ألوانا صلى لأجلهم قائلا يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون (لو ص ٢٣ : ٣٤)

فجميع أعمال المسيح وعجائبه كانت لخير الإنسانية وتقدمها وصلاحها لانه جاء من السماء لهذا الغرض فلا يعقل ان المجبر وهو يجبر المكسور واذا ماشتمه المكسور من صغر النفس وشدة الألم فلا يكسر المجبر رجله الثانية لكونه شتمه بل ان المجبر الخبير يعذر

ما نعس المكسور ويتأسى له فالمسيح أتى لجبر البشرية وتضميد جراحاتها وتغيير طبيعتها الفاسدة من وحشية الى صورة طبيعته الالهية .

والعقل لا يسلم بأن من كان هذا موقفه بازاء البشرية وعطفه عليها ان يزيدها شقاء فوق شقائها فيمسخ من يسبه منهم الى قردة وخنازير وقد شهد له أهل زمانه انه عمل كل شىء حسناً جعل الصم يسمعون والخرس يتكلمون (مر ٧ : ٣٧) وقيل عنه : اضع روحى عليه فيخبر الامم بالحق لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع احد فى الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفىء حتى يخرج الحق الى النصرة وعلى اسمه يكون رجاء الأمم (مت ١٢ ، ١٤ - ٢١)

وقال عنه الرسول : الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر الذى اذ شتم لم يكن يشتم عوضاً واذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة (١ بط ٢ : ٢١ - ٢٤)

فالذى لا يقصف قصبة مرضوضة ولا يطفىء فتيلة مدخنة حال غضبه لا يعقل ان يمسخ الناس الى قردة وخنازير اذا ما سبوه

(٢) واما قوله فلما اجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه رفعه الى السماء وقال لأصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب الخ . فهذا قول بذاته يحمل طابع بطلانه ودليل فساده لأن التناقض فيه ظاهر ومنافاته للعقل والايمان واضحة لانه اذا كان الله تعالى قد اخبر المسيح بأنه سينجيه من اليهود بأن رفعه الى السماء حياً فما الداعى لأن يلجأ المسيح الى طريقة الغش والخداع ويعرض حياة احد اتباعه للموت عوضا عنه بلا داع فضلا عن ظهوره بمظهر حب الذات والانانية التى لا مبرر لها فيقول لأحد اصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل عنى ويموت

وفى هذا ما فيه من اتهام للمسيح بأنه لم يثق فى وعد الله له بأنه سيرفعه الى السماء حيا وينجيه من اليهود وبأنه شك فى كون الله تعالى ينجز هذا الوعد وان قلبه لم يطمئن لهذا الوعد وخاف ان يتخلى الله عنه فعمد الى طريقة الغش والخداع واعد احد

اصحابه ليموت عنه عند اللزوم فيما لو تخلى الله عنه . بل وفى هذا القول اخطر اتهام للمسيح لأنه بذلك يكون قد تخلى عن المهمة العظمى التى جاء اليها على الأرض وهى ان يموت بالنيابة عن الجنس البشرى ليفتدى الناس ويخلصهم من موت الخطية

واذا قالوا ان المسيح رأى من الضرورى أن يصلب واحد بدلا عنه ، فنقول لهم وما هى الضرورة الموجبة لموت واحد بهذه الصورة التى فيها غش للناس وتعريضهم للوقوع فى اعتقاد خاطئ . اذ يعتقدون أن المسيح صلب وهو لم يصلب ؟ بل وما الداعى لوقوف المسيح موقف الأنانى المحب لذاته والمستهتر بحياة الناس عندما يدفعهم للموت بدلا عنه بلا موجب ما دام الله وعده بأن يرفعه الى السماء حيا

ان لا ضرورة ولا داع لهذا كله اللهم الا أن يعترفوا بأن الصلب ضرورة محتومة لعمل الفداء الذى جاء المسيح ليقوم به ولما عدل عن عزمه أناط به أحد الحواريين الذين هم على حال من البر على نوع ما بالنسبة الى المسيح الكامل وبهذا يقعون فى ما أرادوا الفرار منه وهو ضرورة الموت النيابى لفداء الجنس البشرى الذى يقوم به بار عن الفجار وهنا يتحتم عليهم فى النهاية التسليم بأن المسيح هو الذى مات لأنه ليس بار ولا واحد سوى المسيح الذى اعترف ببره وقداسته وكماله القرآن والتوراة والانجيل

(٣) ان طلب المسيح من أحد اتباعه ان يموت عوضا عنه لا يتفق مع صفات المسيح المضحى ولا مع الواقع الذى سجله الانجيل عن المسيح ابان تسليمه اذ يقول : فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال للذين أتوا لإلقاء القبض عليه من تطلبون . أجابوه يسوع الناصرى . قال لهم يسوع أنا هو فرجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض فسألهم أيضا من تطلبون فقالوا يسوع الناصرى اجاب يسوع قد قلت لكم انى أنا هو فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ليتم القول الذى قاله ان الذين أعطتنى لم أهلك منهم احداً (يو ١٨ : ٤ - ٩)

فالذى واجه الاعداء بشجاعة معدومة النظير وكانت الفرصة سانحة للهرب عندما سقطوا على وجوههم أمامه والذى طلب الى اعدائه أن يتركوا تلاميذه بلا يقبضوا عليهم معه بل يأخذونه وحده لا يصدق عليه ما افترى به عليه مفسرو الاسلام من

أنه طلب من أحد اتباعه أن يموت بدلا عنه

(٤) واذا كان الله يريد أن يخلص المسيح من الصلب فلماذا لم يخلصه بمعجزة ظاهرة للعيان ويرفعه أمام عيون اليهود وحكام الرومان . وما الحكمة من هذه المعجزة الغطيس التى يستعمل فيها الغش ويظلم فيها الشخص الذى وقع شبه المسيح عليه فأخذ وصلب بدلا عنه ؟ وما المعجزات الا بينات لاقناع الناس !

(٥) واذا كان الله قد رأى ان الصلب مهين ومحقر لشخص المسيح روح الله وكلمته كما يقولون فهل يعقل ان الله يعمل معجزة خلاص المسيح من الصلب بطريقة خفية لا يشعر بها الناس ولا رأوا المسيح وهو مرفوع وبقى الناس فى اعتقادهم بأن المسيح صلب كأحقر الناس ولا يزال العار لاحقا به لانه لا يزال العالم يؤمن بأن المسيح مات مصلوبا

(٦) يقولون وكيف يرضى الله ان يترك المسيح يقتل بواسطة قوم محتقرين كاليهود ؟! نجيبهم : ألا تعتقدون بأن المسيح سوف يأتى ويموت ؟ فاذا كان لابد ان يموت فى الآخر حسب اعتقادكم فاذن تكون اماتة الموت لا محالة واقعة عليه وللموت أسباب لا تقل احتقاراً عن اليهود لان الموت لا يحصد البشر الا بواسطة أمراض مختلفة ومكروبات احقر من حقارة اليهود . وهلا تعتقدون بما وقع من احتقار وتكذيب وقتل على أنبياء الله ؟ اما جاء فى القرآن قوله : فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق (سورة النساء) أما اضطهد نبيكم محمد ؟ اما هاجر ؟ أما سبوه وآذوه ؟ اما مات مسموما بيد نساء يهود خيبر كما أخبر محمد بن اسحق فى تاريخه ؟

(٧) اين كان الله مدة هذه القرون الستة التى بين مجىء المسيح ومحمد ؟ هل كان نائما فاستيقظ او فى غيبة فحضر او فى سهو فتذكر حتى ارسل محمداً بعد ستة قرون يستدرك خطأ اوقع تعالى فيه الناس يوم خدع بصائرهم وغش عيونهم حين رفع المسيح سراً بعد ان اوقع شبهه على غيره فصلبوه ومات والناس يعتقدون ان المسيح هو الذى مات ؟ وهل يعاقب الله تعالى الناس الذين عاشوا قبل محمد وماتوا وهم يعتقدون ان المسيح مات مصلوبا ؟ وهل يقول لهم تعالى يوم القيامة اذهبوا ايها الكفار الى

مثواكم النار لأنكم ممن يعتقدون بأن المسيح صلب ومات وهو لم يمت حقيقة بل شبه لهم ؟ وهلا يقول الملاحدة والكفار متهكمين : ان الذنب ليس ذنب الذين اعتقدوا بموت المسيح انما الذنب ذنب من غش الناس وأوقع شبه المسيح على غيره وأما هو فرفعه حياً فى السر بطريقة خفية ؟

وهل يليق بعدل الله أن يطرحهم فى اليم مكتوفين ويقول لهم احترسوا البلل ؟ واذا قلتم انه تعالى يسامحهم على اعتقادهم بموت المسيح وصلبه لأنهم رأوا وسمعوا أنه مات وذلك بشهادة الرسل المقدسين الذين صنعوا أمامهم الآيات والمعجزات الباهرة التى صنعوها بفعل الروح القدس الذى انطقهم جميع لغات العالم حتى بشروه فهلا يسامح أيضا المسيحيين الذين لا يزالون الى هذا اليوم يعتقدون أن المسيح صلب ومات وقام وصعد بعد ذلك الى السماء. لأن عذرهم كعذر المسيحيين الذين كانوا قبل زمن محمد لأن محمداً عندما قال . « وما قتلوه وما صلبوه بل شبه لهم » لم يقدم للمسيحيين البرهان الذى اعتاد أنبياء العهد القديم ورسل العهد الجديد ان يقدموه وهو عمل المعجزات من آيات وعجائب بل قال فى صراحة « وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الأولون » (سورة الاسراء) فلما لم يقدم لهم محمد برهان الآيات ولا سيما ان القرآن قال فى صراحة « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (سورة المائدة) وقوله « قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل » (المائدة) لذلك صمم المسيحيون على اقامة التوراة والانجيل وتمسكوا بما جاء فيه عن حقيقة صلب المسيح وموته وقيامته وصعوده الى السماء.

(٨) وللمسيحيين عذرهم فى عدم قبول هذه الآراء التى تقول « وما قتلوه بل شبه لهم » فان الامام الفخر وهو من كبار مفسرى القرآن قد أظهر حيرة ووجد اشكالا فى قوله « شبه لهم » فتساءل قائلا : شبه مسند الى ماذا ؟ ان جعلته مسنداً الى المسيح فهو مشبه به وليس مشبهاً ، وان أسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر (الفخر الرازى جزء ٣ ص ٣٤٠) فالعبارة ملتبسة وغير واضحة وما كان ملتبساً وغير واضح لا يمكن أن تقوم عليه العقائد التى يتوقف عليها خلاص النفس او هلاكها. وليس من المعقول ولا من الحكمة فى شىء أن يترك المسيحيون عقيدتهم الثابتة المؤيدة بأقطع الأدلة ويقبلون غيرها المبنى على عبارة ملتبسة وردت فى القرآن وتحير منها أئمة المسلمين وكبار المفسرين لا سيما وان فى القرآن آيات صريحة تثبت ان المسيح مات فعلا كقوله : اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى (آل عمران) ولا عبرة بما يقوله بعض مفسرى القرآن بأن كلمة متوفيك بمعنى منومك لأن الوفاة لغويا تعنى الموت وقد وردت الوفاة فى القرآن مرات عديدة بمعنى الموت الا فى موضعين حيث دلت القرينة على استعمال الفعل للنوم كما جاء فى سورة الزمر قوله « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » وقوله فى سورة الأنعام « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم » ففى الآية الأولى نجد القرينة الدالة على المجاز اذ يجعل الوفاة مطلوقة على الأنفس حين موتها وحين نومها وفى الآية الثانية نجد قرينة المجاز واضحة من قوله يتوفاكم بالليل ويبعثكم فى النهار ليقضى أجل مسمى ثم بعد تكرار ذلك يكون اليه مرجعكم

ومن القواعد المقررة ان الكلام يؤخذ على حقيقته اذا لم تدل القرينة على استعماله بطريق المجاز وحيث أن قوله « يا عيسى انى متوفيك » لا قرينة معه للمجاز وجب أن تؤخذ الكلمة على حقيقتها أى أن المسيح مات حقا ويقيناً

وقد روى ابن عباس ومحمد بن اسحق بأن معنى متوفيك مميتك وقد اختلف فقط فى مدة الموت فقال وهب توفى المسيح ثلاث ساعات ثم رفع . وقال ابن اسحق توفى سبع ساعات ثم أحياه الله ورفعه . وقال الربيع بن أنس ان الله تعالى توفاه حين رفعه الى السماء.

وقال الامام البيضاوى « وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى »

(٩) وأما قولهم بأنه أوجف عونه فأشيع بين الناس هذا رأى يسفهه المسلمون انفسهم لأنه اذا ما عملوا بمثل هذا الرأى او أخذ به لفتح الباب

على مصراعيه للقدح فى عقائد المسلمين أنفسهم وعلى حوادث محمد نفسه ، لأنه اذا جاز القـــول بأن منشأ عقيدة المسيحيين فى صلب المسيح وانتشارها بين بنات الملايين فى كل أنحاء المعمور كان من قبيل الاراجيف والاشاعات فيجوز أيضا القول بأن محمداً لم يوجد فعلا ويقينا ولا تنبأ فعلا ويقينا ولا هاجر يقينا ولا حارب ولا فتح يقينا ولا جاء بقرآن يقينا انما ارجف بوجود نبي يدعى محمد شاع بين الناس وأصبحت الاشاعة عقيدة وآمن بها ملايين الناس

(١٠) وعا اننا نفينا ما أراد بعض مفسرى الاسلام ان ينفوا به حقيقة صلب المسيح فنكون بذلك النفي قد اثبتنا حقيقة صلب المسيح لأن نفي النفي اثبات

ولما كانت عقائدنا المسيحية لا تقوم على البراهين السلبية فقط لانها عقائد ايجابية كما أن فضائل الدين المسيحي ايجابية كان لابد من ان نورد هنا الادلة الايجابية على حقيقة صلب المسيح

الادلة الايجابية على حقيقة الصلب

لماذا تتمسك بهذه العقيدة ؟

ان المسيحيين يقبضون بكل ما فيهم من قوى على عقيدة صلب المسيح وموته ويدافعون بأرواحهم ودمائهم عنها لأنها عقيدة الخلاص من عبودية الشيطان والخطية والموت . اذ لولا الصلب لما كان المسيحيون عبدوا المسيح ولا ماتوا فى سبيل محبته والتبشير باسمه لانه ماذا يفيد البشر من مجيء نبي تلو نبي وايفاد الرسول تلو الرسول اذا كانت مهمة النبي أو الرسول الانذار والتعليم واعلان غضب الله على الخطاة دون ان يكون فى مقدور هذا النبي ان يخلص الناس من الخطية وعواقبها ؟ وماذا نفيد من تعاليم الانبياء اذا كانت الخطية غير مغفورة والآثام غير مكفر عنها والضمير لا يزال مثقلا بالاوزار والانسان رازح تحت حملها الثقيل منزوع سلامه مفقود شعوره بالسعادة التي هي مطلب البشرية وأملها الوحيد تلك السعادة التي فقدها آدم وبنوه من اليوم الذى عصى فيه ربه فغوى وحكم عليه بالموت والطرد من الجنة فما عاد الانسان يشعر بحاجة الى شيء سوى الخلاص من الخطية وقصاصها

من أين جاء الشعور بالاثم والحاجة الى الغفران ؟

ان الله جل شأنه خلق الانسان مستقيما (جا ٧ : ٢٩) لأنه خلقه على صورته تعالى (تك ١ : ٢٧) وهذا ما يقرره القرآن أيضاً فى (سورة التين) قوله: لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم

وكذلك يعلمنا الكتاب المقدس ان الله تعالى لما وضع آدم فى جنة عدن يفلحها ويحفظها أوصاه بأن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر متهدداً اياه بأنه يوم يأكل منها موتاً يموت (تك ٢ : ١٥ — ١٧) فدخل الشيطان فى الحية وأغوى أمنا حواء إذ أغراها لتأكل من الشجرة المنهى عنها فأكلت وأعطت رجلها معها ايضا فأكل (تك ص ٣ و ٢ كو ١١ : ٣) فاستحقا الموت الذى تهددهما به الله ان أكلا

والكتاب المقدس يعلمنـــا أيضاً هذه الحقيقة . ان نسل آدم أصبح خاطئاً ومحكوماً عليه بالموت فى شخص آدم لكون النسل ولد من آدم الخاطىء المحكوم عليه بالموت اذ كان هذا النسل فى صلب آدم يوم أخطأ ويوم حكم عليه والحكم صدر على كل ذرة كائنة فى هيكل آدم وهذا ما يدركه العقل ويقره الواقع ويعلم به الوحى الالهي صريحا اذ قال الرسول بولس من أجل ذلك كأنما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع . . . لانه كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون خطاة (رو ٥ : ١٢ و ١٩)

وقد قيل عن آدم انه ولد ولداً على صورته كشبهه (تك ٥ : ٣) أى على الصورة الخاطئة التى كان بها آدم بعد السقوط وهكذا ولد جميع النسل على هذه الصورة كما يقول الكتاب المقدس . وان الله صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض (أع ١٧ : ٢٦) وكذلك يشهد الكتاب المقدس عن عموم الجنس البشري : بأن الكل قد زاغوا معا وفسدوا ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد (مز ١٤ : ٣) ويقول بولس الرسول : اليهود واليونان اجمعون تحت

https://coptic-treasures.com/

الخطية (رو ٣ : ٩) الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله (رو ٣ : ٢٣) ويقول داود النبي . هأنذا بالاثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي (مز ٥١ : ٥)

وقد علم القرآن بهذا وأيدته الأحاديث الاسلامية التي شهدت بخطية آدم ونيابته عن الجنس البشري في العهد والمخالفة وان نسله ورث عنه الخطية ونتائجها كما جاء في (سورة الاعراف) قوله : واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون . وقد روى في الأحاديث أن النبي قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفه فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين .

وعن ابن عباس قال أيضاً ان أول ما أهبط الله آدم الى الأرض أهبطه بدهنا. أرض الهند فسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى يوم القيامة بنعمان الذي وراء عرفه فكلمهم الله وأنطقهم وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً بعد أن ركب فيهم عقولا وتكفل لهم بالارزاق وكتب آجالهم ومصائبهم وغيرها ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من أعطى الميثاق يومئذ . وقال محمد : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس وأخذ عليهم العهد

وروى عن أبي هريرة قال النبي : لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبيصاً من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال داود قال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يارب زده من عمري أربعين سنة قال نبيهم فلما انقضى عمر آدم إلا أربعين جاءه ملك الموت فقال آدم أو لم يبق من عمري أربعون سنة قال أو لم تعطها ابنك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فأكل الشجرة فنسيت ذريته وخطىء آدم فخطئت ذريته . أخرجه الترمذي وغيره

وقال الشيخ الشعراني إن المعتزلة زعموا أن معنى الآية المتقدمة هو أنه أخذ بعضهم من ظهر بعض بالتناسل في الدنيا الى يوم القيامة وأنه ليس هناك أخذ عهد ولا ميثاق حقيقة وان المراد بالعهد والميثاق هو ارسال الرسل . ولايخفى ما في هذا المذهب من الخطأ والغلط وكيف يصح للمعتزلة هذا القول ومعظم الاعتقاد في اثبات الحشر والنشر مبني على هذه المسألة والذي يظهر لي أنهم انما أنكروا ذلك فراراً من غموض مسائل هذا البحث ودقة معانيه فرضوا بالجهل عوضا عن العلم والحق أن الله تعالى أخذ عليهم العهد في ظهر آدم حقيقة لانه على كل شيء قدير . انتهى كلامه .

والقرآن يعلن صريحا خطية آدم فقد ورد في سورة (طه) : « وعصى آدم ربه فغوى » قال المفسرون عصى ربه بأكل الشجرة

وقال البيضاوي : فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة أو عن المأمور به . أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو . وقرر علماء الاسلام أن العصيان من الكبائر بدليل قوله « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مبين (سورة النساء)

وورد في سورة طه قوله : « فتاب عليه » والتوبة لاتكون الا عن ذنب لانها الندم على المعصية . (وفي سورة البقرة) قوله : ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . وفي (سورة الاعراف) : قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وفي (سورة البقرة) قوله : « فأزلهما الشيطان فأخرجهما مما كانا فيه » .

وكل ما قاله علماء الاسلام عن هذه الآيات هو اعتراف بالمعصية ووقوع الخطية اذ قالوا أن آدم وقع في هذه المعصية قبل النبوة وقالوا ان آدم لما أكل من الشجرة اسود جسده لان المعصية أثرت فيه فالسواد علامة المعاصي حتى قالوا نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم .

وورد (في سورة الاعراف) هو الذي خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين

قال المفسرون لما هبط آدم وحواء الى الارض ألقيت الشهوة فى نفس آدم فأصاب حواء فحملت من ساعتها فلما ثقل الحمل وكبر الولد أتاها ابليس . وقال البيضاوى أتاها فى صورة رجل فقال لها ما الذى فى بطنك قالت ما أدرى قال أخاف أن يكون بهيمة أو كلبا أو خنزيراً قالت انى أخاف بعض ذلك قال وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك أم من فيك أو يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته لآدم فلم يزالا فى غم ثم عاد اليها ابليس فقال لها انى من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحارث فذكرت حواء ذلك لآدم فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سماه عبد الحارث . انتهى

وقال ابن عباس لما ولد له ولد أتاه ابليس فقال له انى سأنصح لك فى شأن ولدك هذا تسميه عبد الحارث وكان قبلا يسمى أولاده عبد الله وعبد الرحمن . فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك انى أطعتك فى أكل الشجرة فأخرجتنى من الجنة فلن أطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر . فقال أطعنى والا مات كما مات الأول فعصاه فمات ولده فقال لا أزال حتى أقتلهم حتى تسميه عبد الحارث فأطاعه

فوراثة الجنس البشرى لخطية آدم بصفته رأسهم الطبيعى ونائبهم الشرعى واضحة أيضاً فى سورة (البقرة) اذ قيل : وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك فى الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه . وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون

فالمتأمل فى هذه الآية يرى أن خطاب الله لآدم وحواء قبل السقوط فى الغواية كان بصيغة المفرد عند الكلام مع كل منهما على حدته كقوله . اسكن أنت وزوجك وبصيغة المثنى عند الكلام مع كليهما كقوله : كلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا .. فتكونا .. فأزلهما .. فأخرجهما مما كانا فيه .

ولكن بعد السقوط تغيرت الصيغة وتحولت الى الجمع فقال وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم ... قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم .. فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون

فلماذا صيغة الجمع هذه ؟ أليست دليلا على أن الخطاب أصبح موجهاً الى النسل جميعه الذى صار شريكا ووارثاً لكل النتائج التى ترتبت على سقوط آدم فى الخطية بصفته نائبهم الشرعى ورأسهم الطبيعى كما ثبت ذلك من الاحاديث واقوال المفسرين التى أوردناها هنا

ولا يمكن لقائل أن يقول بأن الله تعالى بقوله اهبطوا كان يخاطب آدم بلغة التعظيم لانه لا يعقل ان الاله الأعظم يخاطب خليقته وصنعة يده بالتعظيم لأن الذى يخاطب غيره بالتعظيم اما يكون صغيراً يخاطب من هو أعظم منه أو عظيماً يخاطب نظيره ولا آدم فى تلك الساعة كان نظير الله ولا الله سبحانه وتعالى كان أصغر شأناً من آدم حتى انه تعالى يخاطب آدم بلغة التعظيم

واذا جاز أن يخاطب الله خلائقه بلغة التعظيم فذلك الموقف الذى كان الله يخاطب فيه آدم لا توافقه لغة التعظيم اذ كان آدم فى تلك الحالة مجرماً معتديا عاصيا مخالفا يسمع الاحكام الصادرة المحكوم بها عليه . فهل يليق بقداسة الله ونزاهته وعدله أن يخاطب المجرم العاصى بلغة التعظيم كأنه تعالى يعظم الجريمة ومقترفها ؟

فهو ذا أمامنا المحاكم فى كل بلاد العالم اذا ما ثبتت أمامها جريمة المجرم وأصدرت حكمها الصارم بقصاصها العادل على مجرم وكان يحمل أكبر الالقاب فهل تخاطبه بلغة التعظيم وتقول له نبلك وشرفك وسعادتك ؟ أم تخاطبه بلغة تجرده من كل لقب كنفر نفس عادى وحسب بل بصفته محتقراً ومن أكبر المحتقرين

والدليل على أن خطية آدم ونتائجها المترتبة عليها قد ورثها نسله ما نشاهده فى جميع البشر اذ تلوثوا بالشرور وتدنسوا بالمعاصى وبها تاريخ العالم مملوء من كل أثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلا وخصاما ومكراً وسوءاً . نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين . بلا

فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة (رو ١ : ٢٩ - ٣١) لا فرق بين العامة والخاصة بين الأنبياء والشعب ولا تمييز بين العلماء والجهلاء اذ استوى الجميع فى ارتكاب الخطايا المتنوعة

والواقع يؤيد ذلك فان العقاب الذى حل على آدم نراه قد حل على جميع نسله أيضا

(١) فكما أن آدم حكم عليه بأن يعيش فى الارض يأكل خبزه بعرق جبينه هكذا لا يزال أولاده الى هذا اليوم يأكلون خبزهم بعرق جبينهم

(٢) وكما ان الارض لعنت لاجل ادم فأخرجت له شوكا وحسكا هكذا لا يزال أولاده يعانون نتائج لعنة الارض فتدمى أيديهم وأرجلهم بهذا الشوك والحسك الذى ينبت لهم بعد عنائهم وتعبهم فى تفليح الأرض فيفسد عليهم زرعهم ويكون نتيجة خائبة لمجهودهم

(٣) وكما حكم على حواء هكذا : تكثيراً أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً. هكذا بناتها الى هذا اليوم ورثن هذا الحكم اذ ما زلن يقاسين الام الولادة وأوجاع المخاض ويصلن الى حد الموت حتى يلدن

(٤) وكما حكم على آدم لانه تراب والى تراب يعود هكذا ورث أولاده هذا الحكم أيضا وهم وهن كل يوم يموتون ويدفنون فى التراب

(٥) وكذا السلطان الذى أعطى لآدم على الحيوانات صار لنسله أيضا

(٦) والدليل الأكبر على وراثة الجنس البشرى لخطية آدم هو وقوع الأنبياء فى الخطايا الجسام . لانه لو لم تكن خطية آدم قد سرت الى عموم نسله وأصبحت طبيعتهم فاسدة وخاطئة لما كان الأنبياء الذين حملوا الى الناس وحى الله يسقطون فى الخطية والاثم لانهم أولى الناس بالطهارة والقداسة ممثلين لقداسة الله الذى أرسلهم

واليك ما ورد فى القران والاحاديث الاسلامية عن خطايا الانبياء

(١) لقد ذكر القران خطية نوح عندما دعا على المشركين فقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا . وقال لا تذر على الارض من الكافرين دياراً . ثم قال رب اغفرلى (سورة

نوح) وقال المفسرون من ائمة الاسلام : انه لما دعا على الكفار قال رب اغفرلى يعنى ما صدر لى من ترك الافضل .

(٢) وقد ذكر القران خطية ابراهيم اذ قال . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين ... فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر (سورة الأنعام)

وفى (سورة البقرة) ذكر لابرهيم خطية من أكبر الخطايا هى خطية الشك : واذ قال ابرهيم ربى ارنى كيف تحيى الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي .

وقد جاء فى الاحاديث الاسلامية عن محمد قوله : نحن أولى بالشك من ابراهيم . والشك فى قدرة الله كفر باعتراف جميع الأديان

وورد فى القرآن أن ابراهيم كذب كما جاء فى (سورة الصافات) قوله: فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم (وفى سورة الانبياء) عندما قال « بل فعله كبيرهم » وقال مفسرو القرآن : لما كسر ابراهيم الاصنام دعاه نمرود الجبار وأشراف قومه قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . وعن أبى هريرة أن رسول الله قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات اثنين منهم فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم وقوله لسارة هذه أختى حين أراد الجبار القرب منها (رواه البخارى ومسلم)

(٣) وكذلك موسى النبى العظيم قد ذكر له القرآن خطية القتل كما ورد فى (سورة القصص) قوله : « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان أنه عدو مضل مبين . قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى »

(وفى سورة الشعراء) قال : « فعلتها اذاً وأنا من الضالين »

(وفى سورة الأعراف) يقول : « ولما رجع موسى الى قومه غضبان آسفاً قال

بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه . . قال رب اغفر لى ولاخى »

(٤) ولقد ذكر القرآن خطية داود التى ذكرتها التوراة عندما كان على السطح ورأى امرأة أوريا فأحضرها واضطجع معها وقتل زوجها أوريا بوضعه فى مقدمة القتال وجاء النبى الى داود موبخاً فضرب له مثل نعجة المسكين التى أخذها الغنى اذ جاء فى (سورة ص) قوله : وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف . خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وأن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك

وروى البغوى باسناد الثعلبى عن انس بن مالك قال : سمعت رسول الله يقول ان داود النبى حين نظر الى المرأة فهم فقطع على بنى اسرائيل أوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وقد كان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة .

وقال النسفى فى تفسيره المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل وقال غيره أيضا اتفق أن داود وقعت عينه على امرأة فأحبها فسأله النزول عنها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له أنه مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به . . . وقال ابن عباس وغيره فمكث داود أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبينه وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة أبعد ما بين الشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاءه جبريل

من بعد أربعين ليلة فقال ياداود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال قد عرفت أن الله عدل لا يميل .

وهذه القصة المؤلمة والمأساة المحزنة تجدها فى التوراة تبين بكل وضوح سقطة داود فى أشنع الخطايا وقصاص الله له بالرغم عن توبته (أنظر ٢ صم ص ١١و١٢)

قال وهب بن منبه ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهاراً وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بنى اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسبح فى الجبال والفيافى والساحل ويوم يخلو فى دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافى ويرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجىء الى الجبال ويرفع صوته وتبكى معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الأودية ثم يجىء الى الساحل فيرفع صوته ويبكى فتبكى معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء .

وروى الاوزاعى عن محمد قال : ان مثل عينى داود كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع فى وجهه كخديد الماء فى الارض

وقال وهب بن منبه أيضا : لما تاب الله تعالى على داود قال يارب غفرت لى وكيف لى لا أنسى خطيئتى فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة فرسم الله تعالى خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها الخ

وروى الحسن قال: كان داود بعد الخطية لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالى الى داود الخاطىء . ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس فى قصعة فلا يزال يبكى عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين .

وهذه الأحاديث الاسلامية تتفق مع ما جاء فى المزمور عن شعور داود بخطيئته

وذلك اذ قال يارب لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بغيظك . . أعوم فى كل ليلة سريرى وبدموعى أذوب فراشى (مز ٦ : ١ و ٦) ليست فى عظامى سلامة من جهة خطيتى لان آثامى قد طمت فوق رأسى كحمل ثقيل أثقل مما احتمل قد أنتنت قاحت حبر حبرى من جهة حماقتى . . . لأنى أخبر باثمى واغتم من خطيتى (مز ٣٨ : ٣ و ٤ و ١٨) لان شروراً لا تحصى قد اكتنفتنى حاقت بى آثامى (مز ٤٠ : ١٢) حسب كثرة رأفتك امح معاصى . اغسلنى كثيراً من اثمى ومن خطيتى طهرنى لأنى عارف بمعاصى وخطيتى أمامى دائما . اليك وحدك اخطأت والشر قدام عينيك صنعت (مز ٥٠ : ١ - ٤)

(٥) وقد ذكر القرآن أيضا خطية سليمان الحكيم فقال عنه : اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب قال رب اغفر لى (سورة ص)

(٦) ويونس الذى هو يونان النبى قال عنه القرآن : وان يونس لمن المرسلين إذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون (سورة الصافات)

(٧) ومع أن المسلمين يقولون عن محمد أنه أفضل المرسلين فان القرآن قد ذكر له خطاياه وكذلك الاحاديث

فقد ورد فى (سورة الضحى) عن محمد : ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى . والضلال هو عبادة الأوثان والميل الى مدحها فجاء فى سورة الحج قوله « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم » قال ابن عباس وجميع المفسرين سواء كانوا متقدمين أو متأخرين لما رأى محمد تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاء به من الله تمنى فى نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوماً فى مجلس لقريش فأنزل الله سورة النجم فقرأها محمد حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى (ألقى الشيطان على لسانه

ما كان يحدث به نفسه ويتمناه) وهو (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى محمد فى قراءته فقرأ السورة كلها وسجد فى آخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل محمد لها نصيبا فنحن معه فلما أمسى الرسول أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس مالم آتيك به عن الله فحزن محمد حزنا شديداً وخاف من الله تعالى خوفا كبيراً فأنزل الله هذه الآية « وما أرسلنا الى اخ »

ورد فى الحديث أن محمداً قال انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة وقوله يغان أى أن الشيطان يغشى قلبه .

وجاء فى (سورة الأحزاب) . يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وفى (سورة الزمر) قيل لمحمد . لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (وفى سورة المائدة) قيل لمحمد : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته . فلو لم يقع شىء مثل هذا من محمد لما نهاه الله . وقول الله لمحمد بخصوص زواجه بزينب بنت جحش: وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (سورة الأحزاب) وجاء فى القرآن قوله لمحمد . ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك (سورة الم نشرح) وقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (سورة الفتح) وقوله . واعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات (سورة محمد) وعن ابى هريرة قال . سمعت الرسول يقول انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة

وكان هذا يدل دلالة صريحة على أن جميع البشر ولدوا بالخطايا وصوروا بالآثام التى ورثوها عن أبيهم آدم وفعلوها بارادتهم لا فرق بين انسان وانسان اذ الجميع اخطأوا كما اخطأ جميع الأنبياء أيضا مما دل على ان نسل آدم جميعه ورث الخطية والشر عن آدم

ما المراد بحكم الموت على آدم؟

قد ثبت لك أيها الأخ المسلم من كتبك الاسلامية أن البشر قاطبة خطاة ورثوا الخطية عن آدم أبيهم وان جزاء الخطية الذى وضعه الله لآدم هو الموت

واذ قد ثبت ذلك فانا نبين لك ما هو المراد بالموت .

معلوم أن آدم وكل بشرى مولود من آدم هو روح وجسد والوصية تتعلق بالروح وتختص بها لأن الجسد الحيوانى لاتتوجه اليه الوصية رأسا بل عن طريق الروح ، فالجسد تابع والروح متبوع . فالحكم بالموت ينصب اولا على الجزء المدرك العاقل ثم على الجسد ثانيا او بعبارة اوضح ان الحكم بالموت صدر على الهيكل الآدمى بما اشتمل لانه لو كان الحكم بالموت على آدم كان على الجسد فقط للزم ان يموت آدم فى الحال عندما أكل من الشجرة لأن كلمة الله لاتسقط سقوطا ولا توجد قوة فى العالم تستطيع ان تعيق نفاذها . أما وان آدم لم يمت حالما أكل بل بقى بعد الاكل والمخالفة مدة ٩٣٠ سنة فيكون الأمر ان آدم عند أكله من الشجرة نفذ فيه حكم الموت روحيا اعنى انفصلت روحه عن الله الذى هو روح الأرواح وهذا ما يسمى بالموت الروحى كما ان الموت الجسدى يكون بانفصال الروح عن الجسد

وهذا ما أشار اليه بولس الرسول بقوله : وانتم اذ كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا (اف ٢ : ١ و ٥) وقوله ونحن اموات بالخطايا احيانا مع المسيح (اف ٢ : ٥) فهل ياترى كان بولس وأهل افسس امواتا بالجسد ومدفونين فى الأرض أم كانوا موتى بالروح بسبب الخطايا والذنوب

وقد قال الامام الفخر الرازى فى هذا الصدد فى تفسيره لقول القرآن عن المسيح انه وروح الله ، قال : هو روح الله لانه واهب الحياة للعالم فى اديانهم . وقال الامام البيضاوى فيها : انه دعى روح الله لانه يحيي الاموات وقلوب البشر

ومعلوم أن الاديان هى علاقة الروح بالله وان القلوب هى مركز الايمان والحياة الروحية من شعور وعواطف كانت مائتة فاحياها المسيح وهذا معناه الموت الروحى الذى وقع على آدم وبنيه

واذا كان الله قد حكم على آدم وبنيه فى شخصه بالموت الروحى والجسدى فاما ان يموت الجنس البشرى موتا أبديا بالروح والجسد واما ان يسامحهم الله ويمنحهم الغفران

حاجة الانسان الى الغفران

وحاجة الناس الى الغفران بادية وظاهرة فى الكتب الاسلامية .

ولكى تدرك أيها المسلم هذه الحقيقة أضع أمامك ما جاء فى القرآن والاحاديث عن حاجة الانسان الى الغفران والخلاص من الخطية وانهما حجر الزاوية الذى تبنى عليه سعادة الانسان وانشراح صدره فقد جاء فى (سورة الانشراح) قوله تعالى لمحمد : « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك » ففى هذه الآية ترى أن الله لما شرح صدر محمد كان عن طريق رفع خطاياه الثقيلة التى انقضت ظهره . وقد جاء فى الاحاديث ان محمداً ما كان يهمه طلبة اليوم الا غفران خطاياه كما جاء فى حديث البخارى الجزء الرابع ص ٦٦ عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ، صلعم ، يقول « والله انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة وعن ابن مسعود عن النبى ، صلعم ، قال : ان المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه .

واذا كان محمد يأكل فى اليوم ثلاث مرات ويزور فى الليلة الواحدة تسع نسائه ولكنه يستغفر فى اليوم اكثر من سبعين مرة فيكون معنى هذا ان الاستغفار والشعور بالحاجة الى الغفران يفوق كل لذة وسعادة فى الدنيا . وان الغفران هو الكل فى الكل فى حياة الانسان وسعادته

كيف تحصل البشرية على الغفران ؟

هل تحصل عليه بالاعمال وقد اختلت الطبيعة البشرية بالخطية وفسدت بالآثام فصار كل ما يصدر عن البشر من الاعمال فاسداً عملاً بالمبدأ المنطيق . « المبنى على الفاسد فاسد » « والاناء ينضح ما فيه » . أما حاول البشر ان يعملوا صلاحاً وان يصلحوا ما أفسدته الخطية من طبيعتهم فافرغوا جهد الطاقة وجربوا أصول الفلسفة والتهذيب الأدبى وباشروا أشق أعمال انكار الذات ومع ذلك لم يقدروا أن يجعلوا ثمر الشجرة البشرية جيداً بل زادوا شراً فوق شر وكانوا كما قال السيد المسيح هل يجتنون من الشوك عنباً او من الحسك تيناً (مت ٧ : ١٦) وذلك تبياناً لعجز البشر عن الصلاح كما قال صاحب المزمور . الكل قد زاغوا معاً فسدوا ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد (مز ١٤ : ٣)

وما الذبائح العديدة التى نحرها الناس من يهود ووثنيين ومسلمين يوميا إلا دليل عجز الناس عن القيام بالشرائع الالهية وعجزهم عن العمل حسب مطاليبها ووقوعهم الدائم فى الاعمال الشريرة . وما استغفار الأنبياء والناس عموماً ومحمد ضمنهم الا دليل هذا العجز عن الصلاح والأعمال الصالحة

وما أعمال البشر التى يظنونها صالحة الا كثوب عدة (اش ٦٤ : ٦) لأن الشجرة الردية تخرج ثمراً رديا

وما الأعمال الصالحة التى كلفنا القيام بها الا دين على طبيعتنا البشرية أن تؤديه لان الانسان مطالب بعمل الخير ومطالب بالابتعاد عن الشر كل أيام حياته فاذا عمل الخير فيكون قد عمل المطلوب منه كعبد . فلا يمكن والحالة هذه أن عمله للخير يكفر عن سيآته . وهذا واضح وضوح الشمس لذى عينين فلنفرض أن عبداً رقيقا اقترف ذنبا جسيما أثار غضب سيده واستوجب أشد القصاص فرأى العبد الغضب باديا والحكم محتوما فقام وتمنطق لفوره واخذ يؤدى خدمات مطلوبة منه نحو سيده وبيته وأولاده وكانت الخدمات شاقة وجليلة وعلى الوجه الأكمل أيضا فهل يعتبر عمله هذا كفارة

عن الذنب ؟ وهل يطمع العبد فى أن ينال عفو سيده وصفحه وغفرانه ؟ أم يبقى الذنب هو هو كما صدر منه ويبقى القصاص هو هو كما حكم به عليه وينظر الى خدماته كواجب مفروض عليه لو قصر فى ادائه زاد فى ذنبه وضاعف قصاصه ؟

وهل اذا اقترف مجرم ذنبا وحكم عليه بالاعدام لأجله فاذا قام القاتل المحكوم عليه بالاعدام بأعمال شاقة ونافعة وخدم القاضى واهل بيته خدمات جليلة فهل يكون عمله هذا داعياً للعفو عنه وانقاذه من حكم الموت ؟ !

فاذا كان هذا هو الحال مع البشر فكم بالحرى الذنب البشرى الذى اقترف ضدالله القدوس الملك المهاب ذو العزة والجبروت فهل أعمالنا الصالحة التى نفعلها كواجب علينا من نحو الله الذى خلقنا ويعولنا كل يوم بعنايته تكفر عن آثامنا ؟ ام تبقى خطايانا هى هى وعقوبتها كما هى ونبقى نحن بالرغم عن اعمالنا الصالحة عبيداً بطالين كما قال السيد المسيح : ان فعلتم كل البر قولوا نحن عبيد بطالين .

والشعور البشرى وضمير الانسان يعتقد ان الاعمال الصالحة لا تغفر الخطية ولا تمحوها وان الناس بحاجة الى الغفران الالهى عن طريق آخر غير اعمالهم الصالحة والا فلماذا نرى محمدا نبى المسلمين الذى هو مثلهم الاعلى فى الأعمال الصالحة لا يرتكن على اعماله ولا يعتبرها وسيلة لغفران خطاياه بل على العكس نراه كما روى عنه فى الاحاديث بأنه كان يتعوذ من عذاب القبر ومن عذاب النار (البخارى جزء ١ ص ١٧٩) (وكتاب الأنوار المحمدية)

وقد قال محمد نبيكم بصريح القول ان الناس لا يدخلون الجنة بأعمالهم ولا هو نفسه ايضا كما جاء فى حديث البخارى قوله : لا يدخل احداً الجنة عمله . قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا ان لم يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة (البخارى جزء ٤ ص ٨٢)

واذا كان البشر لا يستطيعون الخلاص من خطاياهم ولا النجاة من قصاص الخطية الذى كان بدؤه الطرد من الجنة وعدم الدخول اليها بواسطة الأعمال الصالحة فاذن عاذا يحصلون على الغفران والرحمة ؟ !

هل يستطيعون الحصول على الغفران والرحمة بواسطة التوبة ؟ لنبحث هذا على

ضوء القرآن الذى يدين به الأخ المسلم وعلى نور الاحاديث الاسلامية فلقد جاء فى القرآن ما يثبت فى وضوح ان التوبة لا تمحو الخطية ولا تزيل آثارها المترتبة عليها كما ورد فى (سورة البقرة) قوله : وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

فن هذه الآيات القرآنية نجد ان آدم بعد ما أزله الشيطان وبعد أن حكم الله عليه بالهبوط من الجنة والطرد الى الارض تلقى من ربه كلمات فتاب عليه ، وبالرغم عن توبة آدم أيد حكم السقوط وثبته بقوله اهبطوا منها جميعاً حتى يأتى الهدى الذى اذا تبعه الناس أصبحوا فى مأمن من الخوف والحزن ، فلو أن التوبة أفادت آدم وخلصته من الخطية لما كان هناك داع لأن يقول له الله اهبطوا منها جميعا

وهو ذا الحديث الاسلامى يزيد الأمر وضوحاً فان نبيكم محمد الذى كان يتوب فى اليوم سبعين مرة ويستغفر ربه على الدوام ما كان يركن الى التوبة ولا أعتقد أنها كافية لغفران خطاياه بدليل أنه عند الموت بالرغم عن توبته واستغفاره فى الحياة تعوذ من عذاب القبر وبدليل أنه طلب الى المسلمين أن يصلوا عنه ويترحموا عليه بعد موته كما جاء فى كتاب الأنوار المحمدية فى حديث عن ابن المسعود قال : ان رسول الله صلعم قال : اذا تشهد أحدكم فى الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأرحم محمداً وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد

(ص ٤٢٤ و ٤٢٦)

وذلك لأن محمداً كان يعلم أن الخطية مهما استغفر لاجلها وتاب عنها فلها قصاصها كما ورد فى حديث البخارى الجزء الأول ص ٤٤) قوله عن محمد أنه قال : اذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة .

وهذا دليل قاطع على ان التوبة كبقية الاعمال الصالحة هى واجب من واجباتنا فاذا ما حزنا على خطيتنا وتبنا عنها بالبكاء والندامة وسألنا الله المسامحة والغفران نكون قد خطونا الخطوة الأولى مو المصالحة مع الله وتبقى الخطية وقصاصها موجودين حتى تحصل الكفارة عنها . وهاأمامنا الحاكم فى البلاد الاسلامية والتى تحكم بموجب الشريعة الاسلامية التى يقول المسلمون أنها منزلة من عند الله تؤيد هذه النظرية . فاذا اقترف انسان جريمة القتل وأتى به أمام محكمة الجنايات ومثل أمام المستشارين فوجهت اليه تهمة القتل واعترف بما فعل اذا أخذ بعد ذلك فى البكاء والنحيب والتوبة والندامة على ما فرط منه وتوسل الى المحكمة بدموع التوبة طالبا العفو عنه والخلاص من حكم الاعدام فهل تقبل المحكمة توبته وترثى لدموع ندامته وهل تأخذها الشفقة عليه فتحكم بالعفو عنه وتسامحه بما اقترف من جريمة ؟

أم بالعكس فان المحكمة بالرغم عن توبته وندامته وطلب الصفح تصدر حكمها عليه بالاعدام حتى لا تعطى فرصة لضياع العدل وكسر الشريعة ؟ !

فاذا كانت المحاكم الارضية تضرب فى موقف كهذا بدموع المجرم التائب عرض الحائط متمسكة بالشريعة التى وضعها الله فهلا يتمسك الله ذاته بشريعته التى وضعها لآدم قائلا : يوم تأكل منها موتاً تموت ؟ !

وقد اعترف محمد بمبدأ العدل هذا فيما أوردناه من الأحاديث والآيات القرآنية وان مبدأ القصاص عن الخطية مسلم به

(١) لأن الله قدوس والخطية مقترفة ضد قدسه تعالى وهو سبحانه الذى وضع لها قصاصها وديتونتها بقوله لآدم حسب ما جاء فى التوراة : « يوم تأكل منها موتاً تموت » وحسب ما جاء فى القرآن قوله : ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين

فلا يصح اذن غفرانها بالاعمال أو التوبة بل بواسطة تزيل الدينونة وترفع عن الخاطى قصاصها بدون مساس بعدل الله ولا استهانة بقداسته تعالى

(٢) ان قصاص الخطية يتفق مع طبيعة الانسان الادبية لأن الانسان اذا شعر بخطيته واقتنع بها ولم يجد ما يكفر عنها انزعج ضميره واضطربت طبيعته الادبية حتى

انا وجد كفارة عن ذنبه استراح ضميره واطمأن خاطره كما سيأتي القول

(٣) ان قصاص الخطية موافق أيضاً للشرائع الالهية والبشرية التي تتطلب قصاص القاتل رغم أعماله الصالحة وتوبته كما تقدم القتيل عنذلك لان الشريعة بدون قصاص ليست بشريعة محترمة لان القصاص ضروري لكرامتها كما أن العفو بدون كفارة عن الخطية مضيعة للشريعة وملاشاة لها

(٤) ان القصاص عن الخطأ يوافق الناموس الطبيعي فالانسان إذا خالف ناموس الطبيعة جلب على نفسه قصاصاً يتناسب مع قوة تأثير هذا الناموس الطبيعي الذي خالفه . فالانسان يشعر ويعلم بحاجته الى تنفس الهواء فاذا ما حبس نفسه في صندوق لا ينفذ اليه الهواء فانه يختنق رغم بكائه وتوبته وندامته واستغفاره

ومن طرح نفسه في البحر وهو لا يعرف أن يعوم فانه لا محالة مائت ورغم ما يظهر من توبة وندامة على ما فعل اللهم إلا إذا جاء انسان آخر وخاطر بنفسه وعرض نفسه للمتاعب حتى ينتشله . وكذلك من يلمس سلكاً مكهربا فمهما بكى وتاب فانه يموت قصاصا على مخالفته القواعد الطبيعية

ومكذا الحال مع الخطية التي هي التعدي على شريعة الله وناموسه الذي وضع للانسان فلا التوبة تخلص من قصاصها ولا الندامة تعفي من نتائجها لانها شريعة الله التي وضعها كالشرائع الطبيعية

وكما أن القصاص الذي توقعه الشرائع الطبيعية لا نجاة منه إلا بأدوية خاصة يجب أن تستعمل مع من خالفها ويجب أن يقبلها أيضا هكذا قصاص الخطية التي هي التعدي على شريعة الله لا يزول الا بالدواء الناجع والطريقة التي يدبرها الله الحكيم حسب مقتضى صفاته التي لا يمكن أن يضحي بواحدة منها أو يبطل حكمها ومفعولها لأجل صفة أخرى

هل يدبر الله طريقة للغفران ؟

وإذ قد ثبت ان البشر خطاة ومحاجة إلى الغفران الذي لا يمكن الحصول عليه بالاعمال أو التوبة . وأنه لا محالة من القصاص أو الكفارة الكافية . وان الشرائع الالهية والبشرية والطبيعية تقاص من يخطىء ضدها . وان قصاص الخطية والتعدي على شريعة الله لا يزول الا بطريقة يدبرها الله الحكيم حسب مقتضى صفاته بحيث لا تنعدم واحدة من صفاته تعالى عند أي اجراء من اجراءات الالهية

العدل والرحمة

ولما كان تعالى موصوفا بالعدل والرحمة وهما صفتان جوهريتان في ذاته الالهية فانه تعالى اذا غفر الخطية لمجرد رحمته دون قصاص أو تكفير يفي بمطاليب عدله تعالى كان هذا الغفران منافيا لعدله . وفي هذه الحالة يستوى الصالح والطالح أمام الله . مع أن البار يضبط نفسه ويحرمها لذات كثيرة ارضاء لله وشريعته بينما الخاطىء يستبيح كل شيء ويتلذذ بكل شيء ويفعل ما بدا له من موبقات وخطايا بلا خوف ولا مبالاة بالشريعة وواضعها وفي النهاية يغفر له الله خطاياه بلا قصاص ولا كفارة وهذا لا يتفق ومبدأ العدالة وبالتالي يصبح الخاطىء والخطية غير خاضعين للناموس البتة والذي لا يخضع لناموس البتة يكون مطلقا . والله تعالى هو المطلق وحده . فهل يقول عاقل بهذا واذا سامح الله الخاطىء بدون ان تستوفي العدالة الالهية مطاليبها بالقصاص أو بالكفارة فان الناس يستهينون بكل شريعة الهية وبشرية في المستقبل ويصبح العالم فوضى وبلا نظام ولا ترتيب .

ان الحكومات الأرضية تحرص كل الحرص على أن توقع الجزاء العادل على كل معتد لكي تحفظ كرامة القانون ولا تدع الناس يستهينون بالشرائع

وها نحن نعيش في ظل حكومة اسلامية وقوانين اسلامية ومحاكم اسلامية فهل اذا وقف مجرم أمام المحكمة الاسلامية وبدا عليه الخوف والهلع وأخذ يعترف بجريمته الثابتة ووقف الدفاع يعترف عنه بوقوع الجريمة الا أنه يطلب العفو اعتماداً على ما في قلب القاضي من الرحمة فهل تقبل المحاكم الاسلامية المستمدة شريعتها من مبادىء العدل الالهي هذا

الاسترحام وتحكم بالعفو عن المجرم بناء على ميول الرحمة التى استنجد بها الدفاع دون أن تراعى مطاليب العدالة التى هى أساس الحكم وقاعدته ؟ وماذا يكون الحال لو أن القاضى ابتسم فى وجه المجرم وقال له لقد أخذتنى الشفقة على دموعك وتوبتك فقد عفوت عنك فانت حر طليق بلا قصاص على جرمك الفظيع ولا كفارة تلزمك ؟ فهلا يرتعد المسلم قبل المسيحى ويرفع صوته قائلا : يالضيعة العدالة وانصرام حبل الامن واستهانة الناس بالقانون ! وهلا تقوم البلاد وتقعد وترفع الصحف صوتها والمجالس النيابية تقدم الاسئلة والاستجوابات وترفع النيابة النقض حين يرون المجرم وقد خرج يعيث فى الارض فساداً ويمعن فى الناس تقتيلا وفى البلاد اجراما

فاذا كنا نحن البشر نرى ضرورة القصاص أو الكفارة عن ذنب المذنب خوف ازدياد الشر والفساد . وغيرة على قوانين وضعناها، فهلا يرى الله أنه اذا ترك الخاطىء وسامحه بلا قصاص عاد الناس إلى الخطية يشربونها كالماء الزلال وتصبح الخطية عادة فيهم إذ تتسلط عليهم لان القصاص الرادع لم يتوقع عليهم فيقولون فى استهتار واستهانة ان الله لا يقاصصنا بل يسامحنا كعادته وما كانت شرائعه تعالى الا مجرد تهديد وتخويف فقط

ولنتصور ولداً حذره أبوه من عمل ما وأنذره بالقصاص اذا خالف فوقع الولد فى المخالفة فاذا علم أبوه بذلك وتوقع الابن القصاص فى خوف وارتعاد وإذا بالأب يبتسم فى وجهه قائلا لا تخف يا بنى فانى لا أقاصصك كما أنذرتك لأنى كنت أريد تخويفك فقط . فهلا يستخف الولد بكل أوامر أبيه فى المستقبل، وهلا يعيب الناس على هذا الوالد تصرفه ويقولون كان خيراً له أن يوصيه بلا انذار من أن يهدده ولا ينفذ ما هدد به أو على الأقل كان يطلب إلى أم الولد أن تتدخل فى الأمر وتقوم شفيعة فى ابنها وتطلب أن يتوقع القصاص عليها أو تتحمل هى نصف القصاص والولد المذنب النصف الآخر كما فعل سلوقس ملك لوكرى القديمة الذى وضع قانونا وجعل قصاص من يخالفه ويتعداه قلع عينيه وحدث أن ابن الملك وولى عهده الوحيد هو أول من خالف هذا القانون فصمم الملك على تنفيذ حكم القانون على وحيده فقام الشفعاء

ولفتوا نظر الملك الى خطورة مصير الملك اذا قلعت عينا ولى العهد وأخيراً انتهوا الى نتيجة حفظت قداسة القانون ودوام الملك فى البيت المالك وهى أن تقلع عين من عينى ولى العهد المذنب وعين من عينى أبيه وبذا حفظت كرامة القانون وقدسه الناس فى خوف شديد

ومعلوم أن مبادىء العدل والاحتفاظ بقدسية القانون الوضعى مستمدة من الله مقدس شرائعه . فاذن يكون من باب أولى أن الله يحافظ على قداسة شريعته بقصاص الخاطىء أو التكفير عنه

وإذا سامح الله الخاطىء بلا قصاص، ورحمه بلا كفارة فان الخاطىء لا يعتبر قيمة هذه الرحمة الالهية ولا يقدرها قدرها

ولنتصور مجرما ارتكب جريمة فحكمت عليه المحكمة بالاعدام الا أن الملك أطلقه حراً بلا قصاص وعفى عنه فهل يتأثر المجرم بهذا العفو الذى صدر بهذه السهولة وبدون أى اجراء آخر ؟ كلا فالمجرم والحالة هذه لا يتأثر لا قليلا ولا كثيراً لانه يرى أن اطلاقه على هذه الصورة لم يكلف الملك شيئا أكثر من كلمة أصدرها بالعفو ولذلك لا يجد فى قلبه داعيا لمحبة الملك أو الشعور بالشكر لجلالته كما أنه لا يرتدع عن عمل الاجرام

واذا قلنا أن الله لا يمكن أن يعفو عن الخاطىء لمجرد رحمته تعالى فنقول أيضا وأنه تعالى لا يمكن أن ينفذ حكم القصاص فى الخاطىء لمجرد العدل . لانه اذا استوفى تعالى مطاليب العدل من الخاطى بتوقيع القصاص عليه كما تهدده فتصبح الرحمة الالهية عاطلة والا فمتى تظهر هذه الرحمة ومتى تتبين محبة الله وشفقته ! ألا يقال أن رحمة الله لاشئ وانه تعالى جبار ومنتقم وليست فيه رحمة ولا حنو على خلائقه ! وحاشا لله من ذلك

وإذا عاملنا الله فقط بالعدل والقسوة مجرداً عن الرحمة كان أقل من خلائقه حكمة لان علم التربية دل على ان القصاص يقسى القلب ويجعل الانسان عديم الشعور ويفقده الانفة فيستمر على اقتراف الجرم لان قلبه يكون قد تقسى لكثرة القصاص وفى هذه

الحالة لا يكون لقصاصه نهاية وهذا يتنافى مع رحمة الله تعالى التي من شأنها ان تهدبر طريقة الخلاص الخاطىء يتلاقى فيها العدل مع الرحمة

مبدأ الكفارة

وفعلا فان الله قد دبر طريقة لخلاص البشر ومصالحتهم مع الله بواسطة الكفارة المبنية على المبدأ الالهي القائل « بدون سفك دم لاتحصل مغفرة » وهذا المبدأ تراه مطبوعا فى طبيعة الانسان وراسخا فى قلبه لا فرق بين الاسود والابيض ولا بين المتمدن والمتوحش لان اعتقاد الجميع ان الذبيحة النيابية تكفر عن الخطية ولها فاعليتها العظمى وتأثيرها الكلى فى نوال غفران الخطية

بل وترى الكفارة ولزومها موجودة فى جميع أديان البشر قاطبة لافرق بين الدين اليهودى والوثنى والاسلامى والمسيحى وأن ضمير الانسان يتطلب الكفارة ويستريح فى تقديمها وهو ميل فطرى فى قلب الانسان نحو الكفارة لترفع عنه الخطية

جاء فى الجزء الاول من البخارى فى باب الاطعام فى الفدية قال كعب : حملت الى رسول الله صلعم والقمل يتناثر على وجهى فقال ما كنت أرى الوجع بلغ بك ماأرى أو ما كنت أرى الجهد بك ماأرى . تجد شاة فقلت لا قال فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع

وقد جاء فى (سورة المائدة) قوله : أو كفارة طعام مسكين . . . ذلك كفارة ايمانكم . . . فمن صدق به فهو كفارة له . . . فكفارته اطعام عشرة مساكين .
وفى سورة القتال يقول : كفر عنهم سيآتهم

وروى ابن ماجه والترمذى والحاكم عن عائشة قالت إن رسول الله قال : ما عمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من اهراق الدم وانه لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها أى فتوضع فى ميزان الحسنات سبعين ضعفا كما صرح به فى الحديث المروى عن سيدنا على قال : وإن الدم ليقع من الله بمكان أى يشمل الله المضحى به

رحمته ورضاه قبل أن تقع من الارض فطيبوا بها نفسا أى ضحوا بها ونفوسكم راضية غير ضنينة بالثمن ولا مستكرهة دفعه مخلصة غير مرائية

وروى البزار وأبو الشيخ عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلعم يا فاطمة قومى إلى أضحيتك فاشهديها فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك الى الصغائر التى ليس فيها حق لمسلم . قالت : يا رسول الله ألنا خاصة أهل البيت أو لنا وللمسلمين قال : بل لنا وللمسلمين . . . وليتخير أضحيته من أجود أصناف النعم وأكثرها امتلاء بالشحم واللحم فان ذلك أدعى الى كثرة المثوبة . وأفضل الانعام فى الضحية الضأن وإن كان الذكر أفضل من الانثى بشرط أن يتم حولا عربيا ثم يليه فى الفضل المعز بشرط أن يدخل فى السنة الثانيـة بنحو شهرين ثم يليهما البقر بشرط أن يبلغ ثمان سنين

ولابد فى الاضحية أن تكون سليمة الجسم من العيوب المنقصة لها فلا يصح بالعمياء ولا بالعوراء ولا بالمريضة مرضا شديداً تعجز معه عن التصرف كأخواتها . ولا بالجرباء جربا ظاهراً ولا بالمجنونة جنونا مستديما ولا بالمهزولة هزالا ظاهراً ولا بالعرجاء عرجا يعوقها عن مسايرة مثيلاتها فى اليسر ولا بمقطوعة جزء من أجزائها كيد أو رجل أو غير ذلك ومنه قطع الذنب وكسر سنتين من أسنانها فأكثر ولا بالصماء ولا صغيرة الاذنين جداً ولا بالبكماء ولا فاقدة الصوت ولا يابسة الضرع ولا بمشقوقة الاذن شقا أكثر من ثلثها . . . ثم ليضجع ذبيحته على جانبها الايسر ويستقبل بها القبلة ويذبح بيده إن كان يمكنه وهو أفضل أو يستنيب إن عجز

وفى صورة الكوثر يقول : « فصل لربك وانحر » . والنحر كما يقول الامام البيضاوى النحر هو الضحية يوم العيد (جزء ٤ ص ١٩٧) وفى حديث عن أنس يقول ونحر النبى صلعم بيده سبع بدن قياما وضحى بالمدينة كبشين أملحين أقرنين وذكر البيضاوى فى تفسيره وقال : روى عن عمر رضى الله عنه أنه ضحى بنجية اشتراها بثلاثمائة دينار

وقد كان محمد يقول عندما قدم ضحاياه اللهم إنى أذبح هذه عن كل شيء كل

الذين يشهدون لوحدانيتك ولارساليتي . اللهم هده عن محمد وعن كل عائلته .

والمصلي اوان عيد الاضحى يقول بعد عبارات التكبير أثناء الوضوء : الهي اجعل هذه الذبيحة كفارة عن خطيتي وطهر ديني وابعد الشر عني .

واليهود كذلك يؤمنون بوجوب الكفارة فتوراتهم ملأى بالكلام عن الكفارة والذبائح النيابية

وكذلك الوثنيون فانهم لا يزالون الى هذا اليوم يؤمنون بالكفارة والذبائح التي تقدم عن الانسان

وليست الشرائع الالهية والاديان المختلفة وطبيعة الانسان فقط التي تقول بوجوب الكفارة والتضحية النيابية بل والطبيعة أيضاً تعلن هذا كل يوم وكل ساعة توضح بأجلى بيان مبدأ التضحية والتكفير النيابي

فالشمس تشرق علينا والشفاء في أجنحتها تشفي أمراضنا بضوئها الذي يحتوي على الأشعة الشافية . بل تطعمنا وتدفئنا وتكسونا وتضيء لنا وتدير آلاتنا وتمنحنا كل جمال وتمكننا من أن نحيا ونتنفس ونؤدي كل مجهود جسمي ونستعمل عقولنا كأداة مفكرة بواسطة أشعتها التي لولاها لما كنا نسمع أو نرى أو نشم أو نتذوق فى طعامنا ولباسنا الا ضوء الشمس المتحول المخزون فى الحياة النباتية والحيوانية وما وقودنا وأنوارنا وأبنيتنا الا ضوء الشمس المخزون فى الفحم والخشب والزيوت والكهربائية

فهي التي ترفع الابخرة وتعطينا الأمطار والأنهار والينابيع وهي التي تفصل الكربون عن الاكسجين من غاز حامض الكربونيك الذي فى الهواء وتبني الكربون فى أشكال نباتية

والشمس بعملها هذا تقوم بتضحية عظيمة لأنها فى سبيل اعاشتنا وحياتنا تبذل حياتها فهي تموت لكي نحيا اذ سيأتي وقت ينقص أجلها وما ذلك الا لأنها وزعت باستمرار ووقوفها وامتناعها عن التضحية هو موتها وعدم حياتها وطالما كانت باقية موجودة فهي تضحي

وهناك مثل آخر فى الطبيعة يبرهن التضحية . ان الفضل فى تكوين كثير من المساحات الواسعة على سطح الأرض واعدادها للسكنى يرجع الى تلك المخلوقات التي بذلت حياتها فى سبيل تشييد قاعدة للانسان . فلقد كانت هناك مخلوقات دقيقة مكسوة بغلاف جيري تسبح على الماء أثناء حياتها واذا ما وافتها المنية قدمت هياكلها المضيئة لرواسب التربة البحرية وبهذه الطريقة نشأت كتل ضخمة من أحجار الجير كمستودعات طباشير انجلترا . وكل الأقاليم الاخرى قامت على أساس من مقبرة واسعة النطاق من الأجيال المتقدمة من المخلوقات الحية

وما القوة التي تنطلق فى عمليات الراديو الا تحول الذرة وموتها . وكذلك التيار الكهربائي فانه حسب القاعدة المشهورة . ما من عمل يؤديه التيار الكهربائي الا ويكون له عمل مضاد للتيار نفسه اى ان كل اعمال التيار الكهربائي انتحارية .

وكذلك نرى فى عالم النبات أيضاً قانون التضحية سارياً فيه : توضع البذرة فى الأرض فيحدث فيها مبدئياً التحليل والفساد فتموت البذرة لتبعث حياتها الى أجيال أخرى تخلفها وهكذا كل شيء فى عالم النبات زائل متساقط فيضحي الغصن لتطلع الزهور، وتسقط الزهور لتتكون الثمار وتقع الثمار لتنمو البذور وعلى هذا قال السيد المسيح ان لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير (يو ١٢ : ٢٤)

والخلية تموت بلا انقطاع ولكن عند الوصول الى عدم التغيير فى الخلايا يحدث الموت .

والحياة عمل ينشأ عن ضده ، وجذور الحياة انما فى الموت كما انها تتغذى بالانحلال . ففي كل حياة نرى عمليتين الأولى تركيب البناء الآلي والثانية انحلال البناء الآلي وهو معاصر للتركيب .

ومن هذا نرى ان الموت يكون بالضرورة جزءاً من الحياة ويصدق هذا المبدأ على الحياة الحيوانية كما على النباتية فانحلال المواد العضوية داخل الجسم يحدث

تغذية متزايدة فى الهضم تحدث عملية شبيهة بتلك التى تحدث فى انبات البذرة اى انه للموت لابد أن يكون أولا

ومبدأ التضحية يظهر أيضا فى الفكر لانه لا يستطيع أحد ان يفكر دون ان يحدث موت فى الخلايا المخية حتى يمكن ايجاد الفكر كما وانه لا يستطيع أحد ان يعمل ما لم يكن هناك موت فلابد من هلاك الخلايا أولا حتى يمكن ان تنبعث القوة فى النشاط العقلى . وما الاحساس بالتعب الناتج عن التمرينات العضلية الا تأكيداً واحتراقاً سريعاً يحدث فى الأنسجة

وفى الخليقة الحيوانية نرى قانون التضحية النيابية سارياً ، فى ادنى أشكال الحياة تتكون الذرية ، فحياة الصغير لا تقوم الا بتضحية الأم وعند الولادة ينتزع صغيرها منها وكثيراً ما يكون فى ذلك تضحية حياتها

ولا يوجــــد فرح نشعر به أو ضيق تنجو منه الا ووجع الى تضحية مضح وكثيراً ما ينتج هذا عن ألم أو ضيق يكون قد أصاب الوسيط المضحى

ونرى هذا المبدأ مطبوعاً فى أجسامنا فالجزء المشلول فى جسمنا ليست له قدرة على مقاساة الألم فلا تشعر بالألم الا الأجزاء الحية الصحيحة من الجسم

واذا ما اخترقت الخلايا بسبب جرح أصاب الجسم فانها تموت واذا ما حدث التهاب فان الخلايا الصحيحة هى التى تتحمل الألم

وهكذا الواجبات الضرورية التى يعجز أحد الأعضاء عن تأديتها تقوم بها الأعضاء الأخرى فتحمل عنه الحمل بقدر ما تستطيع فاذا عجز الجلد عن تأدية عمله فى الافراز رأينا الكلى تقوم بعمل أكثر والعكس بالعكس . واذا كانت المعدة ضعيفة عن الهضم فالامعاء تقوم بعمل أكثر

والمعارك التى تخوضها كريات الدم البيضاء فى سبيل حماية الجسم حتى الموت فانها بعد ان تهاجم الميكروبات الغريبة فى الجسم تحملها اسرى حرب الى بالوعات الجهاز لتفرز ولا تتأخر عن مقاساة الموت فى سبيل اتمام هذا الغرض وهذا هو مبدأ التضحية عينه

وعملية اصلاح الجسم فى حالة الجروح والتئامها لا يتم الا بالمجهودات التى يقوم بها الجسم بل بواسطة الكريات البيضاء فاذا فحصنا سطح جرح مكشوف فحصاً دقيقاً نراه يصبح فى ساعات قليلة من تعرضه وكشفه مغطى بغشاء غروى خاص مكون من خلايا حبيبية أو خلايا الدم البيضاء حتى تتجمع فى الجرح حيث تقوم بعملية الالتئام

فاذا كانت هذه هى سنة الله الطبيعية افلا توجد نظيرات لها فى العالم الروحى ؟ ! نعم لابد من وجود هذه السنة فى العالم الروحى

علاقة الذبائح بالغفران

ولوحظ فى جميع أديان العالم على اختلافها ان الخاطى لابد ان يقدم ذبيحة من ماله الخاص كفارة بدلا عن نفسه وحاجته الى مكفر يكفر عن خطيته وذلك لشعوره بأنه خاطىء مدنس روحاً وجسداً بالخطية التى ارتكبها فاذا قدم ذبيحة بيده تلوثت هذه الذبيحة بخطيته فتصبح غير مقبولة

فاذا كان لا يقدم باختياره ولا من ماله ذبيحة فليس هناك ايفاء واذا قدمها باختياره ومن ماله ولكن كان التقديم بيديه فهى ملوثة بيديه فلا تقبل واذا كانت لا تقبل فليس ايفاء واذا كان الايفاء لا يحدث فليست هناك شفاعة لان الشفاعة لا تحدث الا بعد تقديم الذبيحة المقبولة ولذلك كان الكاهن بعد ان يسفك دم الذبيحة يأخذ دمها ويدخل إلى قدس الأقداس للتكفير ولمس الخاطى بدمها ليطهر من خطية السهو التى صدرت منه . فالذبيحة المقبولة الطاهرة تقدم أولا ثم الشفاعة تعقب الذبيحة كما نفهم هذا من شريعة التوراة وكما نفهمه أيضاً من الاحاديث عن محمد اذ كان يقول عند ما يقدم ضحاياه اللهم انى اذبح هذه عن شمى كل الذين يشهدون لوحدانيتك ولارساليتى اللهم هذه عن محمد وعن عائلته . وكذلك يفعل المصلى فى عيد الاضحى اذ يقول بعد التكبير أثناء الوضوء : الهى اجعل هذه الذبيحة كفارة عن خطيتى وطهر دينى وابعد الشر عنى

ويلاحظ أيضا ان تكون الذبيحة الكفارية طاهرة بلا عيب كما ان الكاهن الذى يقدمها عن الخطاة يكون طاهراً فى جسمه وبلا عيب طبيعى كما ورد فى شريعة التوراة حتى ان محمداً نفسه حذا حذو التوراة فى التدقيق من جهة انتقاء الضحية والكفارة كما مر بك أيها القارى.

فما معنى هذا التشديد والتدقيق الذى يراعى فى اختيار الاضحية ؟ أليس هذا معناه شعور البشرية بحاجتها الى كفارة ومكفر عن خطاياهم يكون قدوساً طاهراً ؟

وما هذه الذبائح التى أمر بها بنو اسرائيل الا لتعليمهم وتوجيههم واعداد نفوسهم الى قبول الذبيحة الكفارية العامة التى كانت مزمعة أن تقدم عن خطايا العالم كله تلك الذبيحة التى أشار اليها أشعياء النبي قائلا : لكن أحزاننا حملها واوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله مذلولا وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل اثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا . ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه من الضغطة ومن الدينونة أخذ وفى جيله من كان يظن أنه قطع من ارض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبي وجعل مع الاشرار قبره ومع غنى عند موته . على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن فى فمه غش . أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن ان جعل نفسه ذبيحة اثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح من تعب نفسه يرى ويشبع . وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها . لذلك اقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين (ا ش ص ٥٣)

وقد قال بولس الرسول عن هذه الذبائح التى كانت تقدم من الحيوانات انها رمز الى الذبيحة العظمى العامة التى قدمت على الصليب . لان الناموس اذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الاشياء لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التى يقدمونها على الدوام ان يكمل الذين يتقدمون والا أفما زالت تقدم من أجل أنه الخادمين وهم مطهرون مرة لا يكون لهم أيضاً ضمير خطايا لكن فيها كل سنة ذكر

خطايا . لانه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا (عب ١٠ : ١ - ٤)

فما تقدم يتضح أن الذبائح الحيوانية المذكورة فى التوراة والتى يقدمها اليهود والوثنيون والمسلمون غير كافية للخلاص من الخطية بدليل تكرارها كل يوم وفى كل سنة وما هى الا مسكن وقتى للذعات الضمير ومهدىء لغضب الله باشارتها الى ذبيحة الفادى العظيم على الصليب

عدم كفاية الذبائح الحيوانية للغفران

ولكى يفهم اخوننا المسلم هذه الحقيقة فهما لا يشوبه شك فى أن تلك الذبائح الحيوانية غير كافية لغفران الخطية نلفت نظره الى ما كان من أمر محمد نفسه فانه بالرغم عما قدمه من الضحايا كل سنة وما نحره من البهائم كفارة عن نفسه وعن نسائه فانه عند الموت كان يتعوذ من عذاب القبر وقد قال فى صراحة لا تعرف اللبس ولا تحتاج الى تأويل ما يدل على عدم نفع هذه الذبائح والضحايا الحيوانية فى غفران الخطية الاصلية الموروثة عن ادم بل والتى يقترفها الانسان بنفسه كما ورد فى (حديث البخارى جزء ٤ ص ٨٢) لا يدخل احداً الجنة عمله . قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا ان لم يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة .

حاجة العالم للذبيحة الكافية

واذا كان الأمر كذلك اذن يكون العالم بحاجة الى شخص يموت عن الناس ويكون موته كافيا لان

(١) يفى العدل الالهى حقه

(٢) يرفع القصاص عن الانسان الخاطىء المحكوم عليه بالموت الابدى أى قصاص جهنم اذ يخلص الروح والجسد

(٣) ويخلصه من الخطية وقوتها ونجاستها

(٤) يخلصه من يد ابليس الذى أسر النفوس وأوقعها تحت سلطانه ولا بد لهذا المخلص والفادى والمكفر أن تتوفر فيه هذه الصفات

ا ـ أن يكون قويا فوق سلطان الخطية وطاهراً فوق نجاستها

ب ـ أن يكون أقوى من ابليس الذى أسر النفوس وأخضع الجميع لسلطانه

ج ـ أن يكون قادراً على القيام بما عجز الانسان عن ايفائه من مطاليب الناموس والعدالة الالهية

د ـ أن يكون ذا سلطان على الروح والجسد

هـ ـ أن يكون قادراً على أن يجمع المتفرقين الى واحد فى شخصه ليتوب عنهم كما كان البشر واحداً فى آدم عندما ناب عنهم فى اهلاك

و ـ أن يكون بشرياً من نوع البشر الخطاة المحكوم عليهم بالموت

ز ـ وأن يموت طوعا واختياراً

ح ـ وأن يكون دائماً حيا يشفع وينوب عن الأحياء والاموات .

أولا ـ أما كونه يكون قوياً فوق سلطان الخطية وطاهراً فوق نجاستها فلأنه اذا كان خاطئاً وواقعاً تحت سلطان الخطية ومات، فموته لا يحسب لغيره ولا يقال أنه مات بالنيابة عن غيره بل مات بالاصالة عن نفسه وبسبب خطيته جزاءاً وفاقا لذلك لا يمكن أن يفى عن غيره كقول داود النبى : الاخ لن يفدى الانسان فداء ولا يعطى الله كفارة عنه (مز ٤٩ : ٧) وما مثل موت الخاطىء عن الخطاة الا كمثل مجرم حكم عليه بالاعدام فتقدم مجرم آخر سبق فحكم عليه بالاعدام ولكنه فر من وجه العدالة وقال أريد أن أموت عوضاً عن صديق فلما لمحه رجال البوليس قبضوا عليه وأمر أولو الامر بتقديمه الى حبل المشنقة تنفيذاً للحكم السابق صدوره عليه فهل يعتبر موته بالنيابة عن صديقه أم موته جزاءاً وفاقاً لجرمه وهل ينجو صديقه من الموت لانه قال أنا أموت بدلا عنك أم يضطر المنفذون للاحكام أن ينفذوا حكم الاعدام فيه نظير جرمه هو الآخر ؟!

وهكذا لو تقدم شفيع أو فاد ليموت عن البشرية وكان خاطئا وواقعاً تحت سلطان الخطية فلا يفيد الناس شيئا بموته لانه يكون قد مات عن ذنبه وبسبب خطيته ويبقى البشر خطاة كما كانوا يتوقعون قصاصهم هم الآخرون أيضا

ثانيا ـ وأما كونه أقوى من ابليس فلأن الخطية التى تسلطت على الانسان كانت بسبب ابليس الذى أسر النفوس البشرية واستعبدها تحت سلطانه فاذا كان هذا الشخص الفادى والمكفر ممن يخضعون لابليس ووسوسة ابليس وتأثير ابليس وتحته فكيف يستطيع أن يخلص الناس من أسر ابليس وعبوديته؟ فهلا يكون موت هذا الفادى عن الناس عبثا وفداؤه باطلا اذ يقال له والحالة هذه : أيها الطبيب داو نفسك

وهل يتقدم عبد رقيق الى اخوته العبيد ويقول لهم أنا أحرركم ثقوا بى ! فهل يثق العبيد رفقاؤه إذا ما رأوه وقد سقط تحت قدمى مولاه خوفا وعبودية وقد استاقه مولاه الى أشق الأعمال وهو مربوط بنفس الحبل اياه الذى كان يربط به الرقيق قديما وسار وهو لا يبدى حراكا ؟!

وهذا هو الحال مع الشخص الذى يتقدم للفداء أو الكفارة وكان ممن يخضعون لتأثير ابليس وسطوته ونفوذه لذلك كان الناس فى حاجة إلى مخلص أقوى من ابليس ليربطه ويأخذ أسراه

ثالثا ـ أما كونه يكون قادراً على القيام بما عجز الانسان عن ايفائه من مطاليب الناموس والعدالة الالهية فهذا يقتضى أن يكون لشخص هذا الفادى والمكفر قيمة غير محدودة لأن الخطية التى اقترفها الانسان والدين الذى تداينته طبيعتنا البشرية بسبب هذه الخطية هو دين غير محدود لأن الخطية هى اهانة لناموس الله ودوس لوصاياه ومخالفة لاحكام عدله وبما أن الله غير محدود فالخطية ضده تعالى دين غير محدود ولذلك استوجبت الخطية قصاصا غير محدود ليكون قادراً على ايفاء الدين الغير المحدود

وهذا ملحوظ فى محاكمنا الدنيوية فاذا أهين شخص من الأشخاص العاديين فان أى انسان يستطيع أن يعوض عن هذه الاهانة لأن ما تحكم به المحاكم من قبيل التعويض يكون بطبيعة الحال شيئا ضئيلا يتناسب مع ضآلة حال المهان ولذلك يستطيع أى شخص أن يقوم بالوفاء عوضا ولكن اذا كان الشخص المهان أكثر اعتباراً من الرجل العادى فتوجد صعوبة فى التعويض إذ لا يقوى على ايفائه كل انسان إلا الناس

المتمردين ولكن إذا كان المهان ملكا عظيم القدر جليل الشأن فان اهانته لا يعوض عنها الا من كان من درجته في السمو والعظمة والثروة الواسعة التي تتحمل الايفاء.

وهكذا من يأخذ على عاتقه إيفاء مطاليب العدل الالهي ويسدد ديون البشر الخطاة التي تداينوها بالخطية وجب أن يكون غير محدود واسع القوى عظيم الثروة غير محدود الخير ليستطيع أن يفي ما على الانسان من دين غير محدود ويكفر عن شر غير محدود.

رابعاً - أن يكون ذا سلطان على الروح والجسد لأن الخلاص المطلوب للانسان هو خلاص لروحه وجسده فكيف يستطيع مخلوق أن يختطف الروح من يد الشيطان اذا كان لا سلطان له على الروح وكيف يصل اليها وهي في عالم الأرواح لكي ينقذها فضلا عن الجسد الذي يفنى في التراب ويتلاشى بواسطة الموت فكيف لمخلوق أن ينقذ الجسد من الموت ويقيمه بعد الفناء. لأن الفادي والمخلص لا بد أن يأتي في اليوم الأخير بالروح والجسد معاً ويقيمهما من الموت الجسدي والروحي والا فما معنى الفداء والخلاص

لا سيما وأن الفادي والمكفر عندما يشفع في المذنبين يضمن عهداً جديداً وحياة جديدة لمن يشفع فيهم ويخلصهم وفي هذه الحالة يضع يده على الانسان الذي اشتراه بدمه بعد أن خضع لعبودية ابليس وذلك ليجعله يعيش بعد ذلك لا لنفسه ولا لابليس بل لله في طهارة وقداسة وبر وهذا يقتضى أن يكون ذا سلطان على الروح والجسد ليخضعهما لتأثيرات الحياة الابدية ويحفظهما بعد الخلاص في جو الصلاح والبر والقداسة

خامساً - وأما كونه يكون قادراً على أن يجمع المتفرقين الى واحد في شخصه فذلك لينوب عنهم كما كان البشر واحداً في آدم عندما ناب عنهم في الهلاك ومن ذا الذي تجمع في شخصه كل البشر الا اذا كان قادراً على الاحاطة بالبشر جميعا وهذا لا يتوفر لاي مخلوق كائن ما كان.

سادساً - وأما كونه يكون بشريا من نوع البشر الخطاة المحكوم عليهم بالموت فذلك لان الخطية صدرت عن الانسان والحكم بالموت صدر على الانسان فيقتضى

أن من يموت عن الانسان أن يكون انسانا والا اذا مات مخلوق آخر غير الانسان فيكون حكم الله قد سقط لأنه حكم على الانسان قائلا يوم تأكل منها موتا تموت. لذلك وجب أن الذي يموت عن الانسان الخاطىء يجب أن يكون انسانا أيضا. ولأن النيابة يجب أن تكون لشخص له صلة بمن ينوب عنهم وهذه الصلة اما أن تكون صلة قرابة أو نسب أو قومية أو ارادية أعني نيابة تصدر بارادة الشخص الذي سيناب عنه ولذلك وجب أن يكون النائب عن الجنس البشري في تقديم الكفارة انسانا منهم له ما لهم وعليه ما عليهم ليكون رأسا لهم كما كان آدم رأسا للجنس البشري ولا يصح أن تؤخذ رأس من أي مخلوق كان لتكون رأسا للبشر غير رأس بشرية تفكر تفكيرهم وتتفق مع تركيبهم.

سابعا - ان هذا الفادي يجب أن يموت ويموت طوعا واختياراً لأن آدم قد حكم عليه بالموت. والايفاء يجب أن يكون بالموت لأنه لا يمكن أن ينقض حكم الله الذي لا تسقط كلمته سقوطا اذن لا يرفع هذا الحكم عن آدم ونسله إلا بموت الفادي والمخلص الذي يقوم بهذا الايفاء. ويجب أن يكون هذا الموت اراديا طوعا واختياراً لأنه اذا قدم الله سبحانه وتعالى شخصا ليموت عن الانسان وكان هذا الشخص لا يريد أن يموت كان موته كرها وبدون ذنب جناه وهذا ظلم لا ترضاه عدالة الله

ثامنا - أن يكون حيا ليشفع وينوب عن الاحياء والأموات فاذا فرض أن أحداً قدم ذاته ومات ولم يقم من الموت فلا يستطيع أن يشفع في المذنبين ولا يصح أن يكون الميت نائبا عن الاحياء والأموات وكيف يستطيع أن ينقذ الآخرين من الموت وهو لم يستطع ان ينقذ ذاته من الموت لذلك وجب على من يقدم ذاته ضحية ويموت كفارة عن خطايا البشر أن يقوم بعد موته ثانية ليشفع بعد تقديم الذبيحة في المذنبين

اين هذا الفادي والمكفر ؟

فلنبحث عن هذا الفادي والمكفر عن البشرية الذي تتوفر فيه هذه الشروط وهذه الصفات

هل تتوفر فى البهائم التى تقدم على المذابح ؟ كلا فان البهائم ليست قوية ولا هو فى سلطان الخطية . وطهارتها سلبية لكونها لا تعرف الشر ولا الخير ولا هى أقوى من ابليس بل أضعف منه لانها واقعة تحت دائرة نفوذه اذ هى ضمن مقتنيات العالم والعالم كله قد وضع للشرير وان ابليس رئيس هذا العالم وهناك دليل اسلامى يثبت وقوع البهائم تحت تأثير الشيطان ورد فى حديث البخارى (جزء ٢ ص ١٤٨) قال محمد اذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فانه رأى شيطانا . كما أن الحيوانات محدودة وحقيرة فلا تفى بمطاليب العدل الالهى الذى أهين بخطية آدم

أم تتوفر فى الانسان ؟ كلا فالناس جميعا أخطأوا وأعوزهم مجد الله كما أوردنا ذلك فيما سبق . كما وان الانسان واقع تحت نفوذ الشيطان وتأثيره كما ورد فى حديث البخارى (جزء ٢ ص ١٦٦) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلعم يقول ما من بنى آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها

وفى الجزء ذاته ص ٤٧ يقول عن الشيطان انه يخطر بين الانسان وقلبه .. وان التثاؤب من الشيطان وفى ص ٣٦ يقول ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم وانى خشيت ان يقذف فى قلوبكم سوءا

كما أن الانسان محدود فلا يفى المحدود الدين الغير المحدود كما سبق القول كما وان الانسان لا سلطان له على أرواح البشر وأجسادهم بدليل عجز الانسان عن ضبط نفسه وكبح جماحها

هل تتوفر فى الملائكة أو الشياطين ؟ كلا لانها ليست من الجنس البشرى فلا يحسب موتها موتا عن الانسان الساقط كما وأنهم اذا أرغموا على الموت بالنيابة عنه كان هذا ظلما لا ترضاه العدالة وكذلك هم محدودون كغيرهم والمحدود لا يفى غير المحدود حقه

ولما كان من المحتوم والمعقول والطبيعى ان الذى يفدى الانسان من الموت الابدى يكون من حقه السيادة على الانسان ويصبح البشر ملكا شرعيا له وفى هذه الحالة لا

يتيسر للبشر ان يستردوا حريتهم الأولى ومقامهم الجليل الذى كان لهم قبل السقوط فى الخطية ويستمرون عبيداً لغير الله تعالى لأنهم يصبحون عبيداً لمن فداهم وخلصهم وبما أن العبودية لا تجوز لغير الله كان من المحتوم ان لا يكون الفادى مخلوقا من المخلوقات

هل يترك الله البشر وشأنهم بعد أن سقطوا وحتم عليهم الموت والهلاك ؟ حاشا لله أن يجعل البشر يعترضون على عدالته وحكمة قصده ولا يقولون لماذا جنى الله علينا خلقنا ليشقينا ويعذبنا، وكان العدم لنا افضل من الوجود فى شقاء مقيم وعذاب دائم، لا سيما وان الله قد خلق الى جانب أمنا حواء حية من أحيل حيوانات الأرض ورمى بالشيطان الى أرضنا ليدخل الى الجنة ويغوى حواء وحواء تغوى آدم وكذا وضع لنا وصية تحرض بالاشتراك مع غواية الشيطان على الاكل والمخالفة

ولما كانت هذه البيئة واسطة من وسائط السقوط . وهذه البيئة قد خلقها الله أو بالحرى سمح لها ان تتكاتف ضد آدم لسقوطه وفى هذا شبه العذر لآدم

كان أيضا من مقتضيات مراحم الله أن يعد للخلاص الانسان الذى عجز عن الايفاء واسطة تتوفر فيها جميع الشروط الآنفة الذكر التى ضمنها وأولها أن تكون هذه الواسطة من البشر ، وهذه الطبيعة البشرية التى يعدها للخلاص أما ان يتخذها من طبيعة آدم وأما ان يخلق بشرية جديدة من غير جنس آدم

فاذا اتخذ طبيعة من غير جنس آدم فالعدالة لا تقضى على طبيعة غير طبيعة آدم استوفى ديناً لم تداينه وتكفر عن ذنب لم تقترفه بل اقترفته طبيعة أخرى . ومهما ماتت هذه الطبيعة البشرية المخلوقة من جديد فلا يمكن أن تفى حق العدالة الالهية لأن الحكم صادر على آدم وبنيه فيجب ان يقع الموت الكفارى على طبيعة من ذات طبيعة آدم لأن الخطية صدرت عن آدم

ولما كان كل حكيم يقصد من عمله غرضا ويسعى الى تحقيقه هكذا كان لله اله الحكمة غرض فى خلق آدم وهو أن يجعله حاصلا على السعادة الدائمة بدليل أنه لما خلقه وضعه فى جنة عدن وأحاطه بكل أسباب الراحة والسعادة .

ولما كانت السعادة يجب ان تكون قائمة فى ذات الانسان لا عرضا خارجا عنه

فان الله تعالى أراد أن يحقق هذا الغرض فى آدم ومن آدم وحده وهذا نراه ظاهراً فى خط سير الله مع آدم فانه تعالى لما رأى أن سعادة آدم فى الجنة لا تتوقف على بساقة الأشجار ونضارتها وجمال أثمارها وفواكها ولا فى جريان الانهار العذبة ولا فى رؤية الحيوانات المختلفة لأن هذه كلها خارجة عن آدم وليست جزءاً منه بل على وجود معينة نظيره فلم يشأ أن يصنع له حواء من طينة أخرى غير الطينة التي أخذ منها بل أخذها من آدم ذاته وهذه هى السعادة عينها التى أراد الله تعالى أن يحققها فى آدم ومن آدم ذاته

ولما كان غرض الله أن يجعل سعادة آدم قائمة فى نفس آدم بحيث أنه لو استمر قائماً فى حال البر دون أن يسقط فى الخطية لاستمر قائماً فى السعادة بغير حاجة الى معونة خارجية

ولما كان غرض الله فى خلاص آدم من الخطية هو عودته الى حالته الأولى من السعادة التى كانت قائمة عليه وفيه دون سند خارجى

كان من المحتوم أن ينهض الانسان من سقطته ويصل الى سعادته بنفسه دون مساعدة خارجة عن جنسه . لأن السعادة فى الحرية . فاذا أنهضهم من هو خارج عن طبيعتهم لاستلب حريتهم الأولى ولما استطاعوا أن يستردوا حريتهم التى كانت قبل السقوط لأنهم يصبحون عبيداً لمن فداهم وحررهم بدلا عن كونهم كانوا عبيداً للشيطان. والعبودية لغير الله هى عبودية مهما كان الشخص المستعبد كما سبق القول

فكان من المحتوم ألا يقوم الجنس البشرى وينهض من كبوته ويخلص من خطيته بانسان من غير جنسه بل ببشرى من طبيعته من لحمه ودمه . ولا بد من أن يتخذ الله هذا الفادى والمخلص من طبيعة آدم ومن نسله فهل يتخذه من أب وأم نظير جميع الناس أو يتخذه من رجل بدون امرأة ؟ أو من امرأة بغير رجل ؟

أما من أب وأم أو من رجل بدون امرأة فهذا أمر لا يتوفر فيه أهم شرط للفادى والمخلص وهو أن يكون بلا خطية لأن جرثومة الحياة البشرية وأصلها محمولة فى زرع الرجل والرجل بطبيعته خاطىء وأثيم كقول داود النبى : « ها أنذا بالاثم صورت

وبالخطية حبلت بى أمى » فاذا ولد الفادى بواسطة اجتماع رجل وامرأة كان خاطئاً ومولوداً بالاثم كما لو أخذ أيضاً من رجل بدون امرأة فيكون خاطئاً أيضاً لأنه صادر عن خاطىء أثيم

ولما كانت الخطية والحكم بالموت قد دخلا عن طريق المرأة وأن الكلمة التى ألقاها الشيطان للغواية والهلاك ألقيت الى المرأة وجب أن يكون الوفاء من نوع الدين ومماثلا له بمعنى أن يأتى الدواء المخلص من المرأة أيضاً إذ يلقى الله اليها كلمته فيتمثل لها بشراً سوياً كما تمثل الشيطان فى الحية

وإذا قال قائل وكيف لا يكون الناسوت المأخوذ من المرأة وحدها بلا خطية بما أن المرأة ذاتها من الجبلة الخاطئة المدنسة بالخطية والمختمرة بالشر وهل يؤخذ الفطير من الخمير

نقول بما أن جرثومة الحياة ليست من المرأة بل من الرجل وما المرأة الا مستودع تربى فيه جرثومة الحياة الانسانية كما تربى البذرة فى جوف الأرض . والله سبحانه وتعالى لما أراد أن يجعل ابنه يتجسد فى صورة انسان أرسل روحه القدوس ليقوم مقام الزرع البشرى فحل على مريم العذراء وقدس طبيعتها وحل الابن الكلمة واتحد باللحم والدم المقدسين بفعل الروح القدس . وهذا ما قاله الملاك جبرائيل عندما بشر مريم : الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١ : ٣٥) ويطابق هذا القول ما جاء فى القرآن فى سورة الأنبياء عن مريم قوله : « فنفخنا فيها من روحنا » .

وإذا كانت الشمس عندما تحل فى الأماكن القذرة الملوثة تطهرها وتنقيها فكيف بشمس البر يسوع خالق الكل ومقدس الجميع إذا حل فى مريم العذراء لا يقدس فى الحال طبيعتها كما تقدس النار الحديد وتطهره مما علق به . وقد قرأنا فى الصحف أخيراً عن الامريكيين لما حرمت حكومتهم الخمر كيف أن الذين ألفوا ادمان الخمر وشربه استطاعوا أن يستخرجوا من الخل خمراً طيبة بطرح مواد كيمائية فى الخل تسلبه حموضته أى أن هؤلاء الناس صنعوا من الخمير فطيراً فهلا يستطيع خالق

الكيميا ورب الكيميا اذا ما انطرح فى جوف مريم العذراء أن ينتزع من طبيعتها خميرة الشر الموروثة عن آدم ويجعل منها فطيراً يتناسب مع طبيعته اللاهوتية !

وكيف يتحد اللاهوت بالناسوت ! ؟ فهل الطبيعة اللاهوتية تتبادل الذاتية مع الطبيعة اللاهوتية بحيث يصير اللاهوت ناسوتاوالناسوت لاهوتا ؟ أم يتمازجا فينشأ عنهما طبيعة ثالثة ليست بالهية محضة ولا بانسانية محضة ؟

كلا فان الاله والانسان الذى يقوم بعمل الكفارة لا يمكن أن يأتى من تحول الطبيعة الواحدة الى الطبيعة الأخرى ولا يمكن أن يكون ثالث الاثنين من اختلاط فاسد .

لا يمكن أن يكون من مجرد اجتماع الطبيعة اللاهوتيـة والطبيعة البشرية فيكون الاله شيئا والانسان شيئا آخر دون اتحاد ذاتى يكون الاله ذات الانسان وبدون هذه الوحدة لا يتسنى لأحد الطبيعتين أن تقوم بالعمل الكفارى المطلوب وذلك لأن الطبيعة الالهية لاتقوم بعمل الكفارة والوفاء لأنها ليست ملزمة ولا واجبا عليها وكذلك الطبيعة البشرية لا تقدر على القيام به لعدم استطاعتها ذلك

اذن يقتضى أن الاله الإنسان المزمع أن يقوم بالعمل الكفارى يكون هو نفسه الها وانسانا معا فى وحدة تامة

وإذا قال قائل وكيف تتحد الطبيعة الالهية بالطبيعة البشرية قلت لك هو ذا الروح العاقلة والجسد المادى فى الانسان الواحد متحدان مع أن الروح ليست بمادة وليس لها شىء من خواص المادة اذ هى فاعلة حساسة عاقلة كما أن الجسد مادى وليس له شىء من خواص الروح . ومع ذلك فان الاتحاد قائم بينهما بدون اختلاط ولا امتزاج والنفس باقية روحاً والجسد باق مادة دون أن تنتقل خواص الواحد الى الآخر . وهذا الاتحاد ظاهر فى :-

أولا : كون الانسان مشتركا فى صفات جوهريه أى أن له صفات النفس والجسد معا اذ ينسب الى الانسان كل ما ينسب الى جسده وروحه فيقال عنه أنه طويل أو قصير ، مريض صحيح ، جميل قبيح كما يقال عنه حاذق حكيم صالح محسن عالم فيصدق على أحد جوهريه ما يصدق على الآخر

ثانيا : نسبة صفات متناقضه الى الشخص الواحد فنقول مثلا عن الانسان الواحد أنه ضعيف وقوى ، خالد وغير خالد . وأنه فان وباق الى الأبد وأنه روح وتراب

ثالثا : تسميته بأحد جوهرى طبيعته والاخبار عنه بما يصدق على أحد جوهريه فنسميه نفسا ناطقة ونقول عنه أنه يجوع ويعطش كالبهائم

رابعا : ارتفاع شأن جسد الانسان بسبب اقترانه بالروح لأن ما يرفع الانسان عن أجساد البهائم هو اتحاده اتحادا شخصيا بالنفس الناطقة الخالدة

وهكذا كان اتحاد اللاهوت بالناسوت وبهذا الاتحاد توفرت الصفات التى ذكرناها وقلنا انها يجب أن تتوفر فى الشخص الذى يقوم بعمل الكفارة

ولذلك رأينا أن السيد المسيح الاله والانسان كان

(١) فوق سلطان الخطية كما قال بولس الرسول : لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات . الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولا عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه (عب ٧ : ٢٦ و ٢٧) لأنه ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية (عب ٤ : ١٥) وكما يقول القديس بطرس الرسول : فان المسيح أيضا تألم لأجلنا تاركا لنا مثالا لكى تتبعوا خطواته الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر (١بط ٢ : ٢١ و ٢٢) وقد شهد القرآن عن يسوع وطهارته (ففى سورة مريم) عند ما بشر جبرائيل الملاك مريم قال لها : وانما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، (وفى سورة آل عمران) يقول : وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . وفى حديث البخارى يقول أبو هريرة سمعت رسول الله صلعم يقول ما من بنى آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها

(٢) كان المسيح فوق سلطان الشيطان أيضا كما ورد فى الحديث السابق الذى يشهد بأن جميع البشر مسهم الشيطان ولكنه لم يقو على مس السيد المسيح وكما هو

واضح من الاناجيل اذ أخرج الشياطين بقوته فكانوا يخرجون صارخين مدحورين أمام عظمة جلاله ولما لقيه لجئون من الشياطين صرخوا قائلين آه مالنا ولك يايسوع ابن الله أجئت قبل الوقت لتعذبنا ... والشياطين طلبوا اليه قائلين ان كنت تخرجنا فائذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير فقال لهم امضوا فخرجوا ومضوا (مت ٨ : ٢٩ — ٣٢)

ولما جدف الفريسيون عليه وقالوا انه يخرج الشياطين ببعلزبول أجابهم قائلا : كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب أمتعته ان لم يربط القوى أولا وحينئذ ينهب بيته (مت ١٢ : ٢٩) وبهذا القول أوضح لنا أنه لو لم يكن أقوى من ابليس وأن قوته فائقة لما استطاع أن يربط ابليس وينهب أمتعته أى النفوس التى تسلط عليها بدخوله فى أجسام أصحابها

(٣) وقد كان للسيد المسيح سلطان على الروح والجسد اذ كان بكلمة واحدة يظهر سلطانه على كليهما فلما وقف يوما ما على قبر لعازر الذى كان له أربعة أيام وقال له لعازر هلم خارجا جاءت الروح فى الحال من عالم الأبدية وقام الجسد بعد تعفن وفساد . وظهر سلطانه الفائق أيضا فى دعوته للبشر المتمرغين فى الشهوات والجهل العائشين وسط الفجور والملذات والكبرياء . ومع كون تعاليمه ومبادئه ضد الشهوات الجسدية والفجور والكبرياء بل وعلى عكسها ونقيضها فان الناس لبوا دعوته وعاشوا ضد رغائبهم وميولهم الفاسدة عيشة طهر ونقاوة وانكار ذات وهجر ملذات وتعريض أموالهم وأرواحهم للدفاع عن دينه ومبادئه

(٤) كما أنه جمع المتفرقين الى واحد فى شخصه كما ترى الكتلة المسيحية التى صارت فيه واحداً فى جميع أصقاع العالم كما قال له المجد فى صلاته الى الآب عن المؤمنين : ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحداً فينا (يو ١٧ : ٢١ و ٢٢) وكما قال بولس الرسول : ليجمع كل شئ فى المسيح مافى السموات وما على الأرض (اف ١ : ١٠) وقال يوحنا الانجيلي : انه مزمع أن يموت عن الأمة وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين الى واحد (يو ١١ : ٥٢)

(٥) كما وأنه مات طوعا واختياراً كما قال عن نفسه : « أنا أضع نفسي عن الخراف . ولى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها »

ولما كان يتكلم عن آلامه وانه سيصلب ويحتقر ويموت انتهره بطرس قائلا حاشاك يارب فقال له يسوع اذهب ياشيطان أنت معثرة لى

ولا أدل على موته الارادى الاختيارى أكثر من أنه وهو عالم بمصيره وما يصيبه فى أورشليم كما أنبأ تلاميذه فانه قام بنفسه فى موكب حافل وذهب الى أورشليم ليسلم ذاته لطالبي نفسه

ولما جاء اليهود لالقاء القبض عليه فى البستان سألهم من تريدون فأجابوه نريد يسوع قال لهم أنا هو فسقطوا على وجوههم فزعا ورعبا من جلال هذه الشجاعة التى تتقدم الى الموت بلا خوف وكانت له الفرصة أن يتركهم ساقطين على وجوههم ويمر هاربا منهم بل بالعكس قال لهم ان كنتم تريدون القبض على فدعوا هؤلاء (أى التلاميذ) وخذونى أنا

وكذلك سنحت له الفرصة للخلاص من الموت عند ما طلب اليه بيلاطس ان يدافع عن نفسه فصمت ولم يدفع عن نفسه . وكذلك لما وقف أمام هيرودس عند المحاكمة وطلب منه هيرودس أن يصنع أمامه آية فلم يجبه إلى طلبه مع أنه لو صنع معجزة من معجزاته الباهرة لانذهل هيرودس وأمر باطلاقه ولكن يسوع صمم على الموت فداء عن العالم بمحض ارادته

وبما أن هذه الصفات قد توفرت فى شخص الرب يسوع فيكون هو المعين من الله للكفارة عن خطايا كل الناس كما تنبأ عنه أشعيا ص ٥٣ كما مر بك . وكما قال السيد عن نفسه : وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الانسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يو ٣ : ١٤ و ١٥) وقوله كما ان ابن الانسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين (مت ٢٠ : ٢٨) وقول يوحنا الرسول : وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم (١ يو ٢ : ٢) وكما اشار اليه يوحنا المعمدان قائلا هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم (يو ١ : ٢٩)

لماذا توفرت شروط الفادي في المسيح؟

ما توفرت فيه هذه الشروط التي ذكرناها الا لكونه الها وانسانا معا كما انه باتحاد الطبيعتين في شخصه كانت له القوة على الجمع بين وظائف ثلاث ضرورية لعمل الخلاص والفداء. والكفارة وهي وظيفة ملك ونبي وكاهن الأمر الذي لم يتوفر لملك من ملوك اسرائيل ولا لنبي من الأنبياء ولا كاهن من كهنتهم الا لشخص المسيح كما تنبأ عنه داود النبي قائلا : أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي. (مز ٢ : ٦) وقال عنه في (مز ٤٥) كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك .

وتنبأ عنه أشعيا كذلك (اش ٩ : ٦ و ٧) (وارميا ٢٣ : ٥ و ٦) (وميخا ٥ : ٢) وتنبأ عنه زكريا قائلا ابتهجي جداً يا ابنة صهيون واهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتي اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وجحش ابن اتان .

وقد طبق الانجيليون هذه النبوءة على المسيح يوم دخوله إلى أورشليم فقالوا : فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان (مت ٢١ : ٥ وزك ٩ : ٩)

وقد أقر يسوع لنفسه بالملك فقال عن يوم مجيئه للدينونة : ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يامباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم (مت ٢٥ : ٣٤) وقال أمام بيلاطس مملكتي ليست من هذا العالم ولما سأله بيلاطس قائلا أفأنت اذاً ملك؟ أجاب يسوع أنت تقول اني ملك لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق (يو ١٨ : ٣٦ و ٣٧)

وأما عن كونه نبي فقد تنبأ عنه موسى النبي قائلا : يقيم لك الرب الهك نبياً من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون (تث ١٨ : ١٥) وطبق الرسل هذه النبوءة على السيد المسيح (انظر اع ٣ : ٢٠ - ٢٣) .

وأما كونه كاهنا فقد تنبأ عنه داود النبي قائلا : أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق (مز ١١٠ : ٤) وطبق بولس الرسول هذه النبوءة على السيد المسيح فقال : كذلك المسيح أيضا لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذي قال له أنت ابني أنا اليوم ولدتك كما يقول أيضاً في موضع آخر انت كاهن الى الأبد على رتبة ملكي صادق (عب ٥ : ٥ و ٦) وقال أيضاً : حيث دخل يسوع كسابق لاجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة الى الأبد (عب ٦ : ٢٠)

ويسوع بهذه الصفات والوظائف التي تجمعت في شخصه استطاع أن يقوم بعمل الكفارة عن البشر جمعاً وقام بايفاء مطاليب العدل الالهي وتقديم الترضية لكرامة الله التي أهانها آدم بخطيته . وكان أيضاً قادراً على عمل المصالحة مع الله والناس وسنرى ضرورة هذه الوظائف والصفات في ما يأتي : —

أولا - ان خطية آدم هي المخالفة والعصيان إذ قد داس وصية الله وخالف ناموسه الالهي وفي نفس الوقت أطاع الشيطان . فكان على المكفر عن هذا الذنب والوافي لهذا الدين والمستعطف لله بالنيابة عن البشر أن يؤدي الدين ضعف عن ويقدم الترضية على عكس الاهانة فيخضع لناموس الله الذي عجز الانسان عن اتمامه والخضوع له كما وانه يقدم طاعة فائقة لله وشريعته كترضية لكرامة الله وجلاله الذي أهين بمخالفة آدم وطاعته للشيطان بدلا عن الله ولذلك قال السيد المسيح عند ما جاء الى يوحنا المعمدان ليعتمد منه : اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر (مت ٣ : ١٤ و ١٥) وقال بولس الرسول . ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني (غل ٤ : ٥) وقال أيضا . فليكن فيكم الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله . لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس . وإذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (في ٢ : ٥ - ٨) كما قيل عنه انه

نزل مع أمه ويوسف الى الناصرة ، وكان خاضعاً لهما ، (لو ٢ : ٥١) وقال عنه بولس الرسول فى موضع آخر لانه كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً باطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً (رو ٥ : ١٩) وقيل أيضا عنه مع كونه ابنا تعلم الطاعة مما تألم به وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى (عب ٥ : ٨ و ٩) وقال السيد لتلاميذه . ان حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى كما انى أنا حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته (يو ١٥ : ١٠)

ثانيا ـ ان رأس خطية آدم كانت الكبرياء لأن الدافع للاكل والحرص لشهوة الاكل هو أنه إذا أكل يصير مثل الله عارفا الخير والشر كما أغواه الشيطان الذى رماه بدائه الذى أسقطه من السماء

وكان على من يكفر عن خطية آدم هذه أن يقوم بتقديم ذبيحة ترضى عظمة الله المهانة بخطية آدم والترضية لا تقوم إلا بتقديم فضيلة عكسية لهذه الرذيلة تساوى تطاول آدم الحقير لمقام الالوهية الخطير ومن ذا الذى يستطيع غير المسيح أن يقدم اتضاعا حقيقيا لأن الانسان المجرد لا يستطيع أن يقدم اتضاعا يعادل كبرياء آدم وتطاوله على عظمة الله إذ الانسان مهما حاول الاتضاع لا يستطيع أن يضع نفسه فى حال أدنى من حالته الموضوع فيها كانسان خاطىء محكوم عليه بالموت والهلاك لأن مبدأ الانسان العدم والخطية وآخرته القبر وجهنم فهو وضيع بطبيعته الساقطة . فكل تواضع يأتيه لا يمكن أن يكون تواضعا بالنسبة لحقارته ووضاعته التى هو فيها وآيل اليها بحكم سقوطه فى الخطية

كما وأن الله سبحانه وتعالى كاله فقط لا يمكن أن طبيعته الالهية تتضع أو تحتقر لانه تعالى بجوهره عزيز عظيم جليل رفيع سام مجيد

ولكن المسيح له المجد بصفته الها وانسانا معا ، عبداً وملكا ، استطاع أن يقدم هذه الذبيحة الكفارية عن خطية الكبرياء التى اقترفها آدم لجلال الله باتحاده الاقنومى بشرية يسوع اشترك فى ضعف الانسان وضعته وحقارته اشتراكا مجازيا كاشتراك الروح فى كل ما يتعلق بالجسد من ضعة وحقارة وذلك للاتحاد الكائن بين الروح والجسد فى الانسان

وعلى هذا صار القادر على كل شىء ضعيفا والغير المحدود صار محدوداً فى بطن العذراء مريم . والأزلى أضحى بتجسده طفلا ابن يوم واحد ، والحى الدائم الغير القابل الموت صار خاضعا للموت وذلك بحكم الاتحاد الأقنومى بالناسوت

وهنا حدثت الكفارة عن خطية تطاول آدم على المقام الالهى لما أراد أن يكون مثل الله وتم الايفاء والترضية حينما اتضع الشخص الالهى المتعالى إلى درجة من الوضاعة إذ خضع لعبده يوحنا فأحنى رأسه أمام ابن زكريا واعتمد منه فى نهر الأردن وبهذا تم الايفاء على هذه الصورة وعلى صور كثيرة أظهر السيد المسيح فيها تواضعه المتناهى

ثالثا ـ وكما خان آدم ربه بانضوائه تحت علم ابليس وانضمامه إلى عدوه وعدو الله هكذا كان لابد أن المسيح يكفر عن هذه الخيانة المرة أن يتحمل هو شخصه مرارة هذه الخيانة كحكم الشريعة عين بعين وسن بسن ما دام أخذ على عاتقه أن ينوب عن الجنس البشرى فى احتمال خطاياهم والايفاء عن ديونهم والتكفير عن آثامهم . ولذلك احتمل خيانة يهوذا تلميذه الذى انضم مع أعداء المسيح وباعه ببخس الثمن كما باع آدم أمانته بثمرة زهيدة

رابعا ـ وكما ان آدم قابل احسان الله بالنكران والجحود فلم يراع ما انعم الله به عليه من خير وسعادة وتمتع بالوجود وما يحيط به من عز ونعيم هكذا كان على يسوع المسيح أن يقوم بالايفاء بصنف عين فيحتمل من أمة اليهود خاصته التى جاء اليها أولا وجال فى وسطهم يفعل خيراً يقيم موتاهم فأماتوه ويروى ظمأهم الروحى فتركوه عطشانا على الصليب واليد اليابسة التى شفاها امتدت للطمه والألسنة الخرساء التى انطقها بمعجزاته انطلقت عليه بالتجديف

خامسا ـ وكما ان خطية آدم كانت الاكل والشره وعدم ضبط النفس إذ داس شريعة الله ووصيته لا لأجل ضروريات الحياة بل لأجل ثمرة يمكن الاستغناء عنها عما كان تحت تصرفه من أنواع الفواكه والأثمار العديدة

لذلك رأينا السيد المسيح يصوم عن القوت الضروري مدة أربعين يوما وأربعين ليلة صوماً انقطاعيا عن الخبز والماء وبذلك كفر عن خطية الأكل التي اقترفها آدم

سادسا : وكما أن آدم سلم على طول الخط للشيطان عند ما هاجمه في الجنة ولم يبد أدنى مقاومة تدل على احترامه للشريعة الالهية وأمانته للملك السموي . هكذا كان على من يقدم نفسه للتكفير عن هذا الاثم أن ينزل الى ميدان القتال الروحي مع الشيطان مثل ما نزل السيد المسيح على الجبل في مصارعة وجهاد مع الشيطان حيث تقدم اليه الشيطان بذات الاسلحة التي تقدم بها الى آدم وهي شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ولكن السيد المسيح صده صداً ودحره دحوراً وأخيراً قال له بصوت الآمر الظافر : « اذهب يا شيطان » فذهب مكسوراً ذليلا

سابعا : وكما امتدت أيدى الأبوين آدم وحواء الى الشجرة وتعلقا بها لاقتطاف الثمرة الشهية ليلتذا بأكلها ويصيرا آلهة هكذا كان لا بد ليسوع المسيح المكفر عن هذا الاثم والوافي لهذا الدين أن يصعد هو الآخر على خشبة الصليب المأخوذ من الشجر وان تمتد يداه على الخشبة وتتعلق رجلاه عليها ويتذوق الخل الممزوج بالمرارة ويموت على الصليب كعبد رقيق حقير مع انه انسان سام واله قدير .

ثامنا : وكما قبل آدم طعن الشيطان في صدق الله وأمانته ومحبته للانسان وذلك عندما استمع للشيطان وهو يقول له : لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر (تك ٣ : ٤ و ٥) هكذا كان لا بد للمسيح المكفر عن هذه الخطية والوافي لهذا الدين أن يتحمل الطعن في جنبه بحربة الجندي وأن تدق في جسمه المسامير الجارحة الدامية وان تنزل عليه الجلدات الممزقة للجسم

تاسعا : وكما ان آدم وحواء لم يعترفا بالخطأ بل أراد كل منهما أن يبرر ذاته وهو مدان وان يلصق تبعة الخطية بالله فآدم لما سئل عن خطيته قال لله تعالى المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني فأكلت من الشجرة ... وقالت حواء أيضا عند ما سئلت : الحية غرتني فأكلت

وللتكفير عن هذه الخطية يجب ان ابن الله المتجسد الذي أخذ على عاتقه أن يكفر عن خطية آدم يصير خطية لاجلنا وان يعترف بالنيابة عنا مع أنه ليس بخاطيء. ولكن شأن الوسيط اذا ما تدخل في صلح [illegible] المهان بوجوب اعتراف المهين بخطأه فاذا ما رأى الوسيط صلابة وتشبثا من المعتدى يقوم هو بهذا الاعتراف فيقول أنا الذي غلطت في حقك وحقك علي . ولا سيما اذا كان الوسيط عظيما من درجة المعتدى عليه فتعتبر هذه ترضية . والمسيح لكونه الها من درجة الاله وملكا من درجة ملك الملوك جعل نفسه رسول اعترافنا وارتضى ان يظهر ذاته كخاطيء عندما اختتن حسب الشريعة في اليوم الثامن وحينما قدموه الى الهيكل في يوم الاربعين من ولادته ليصنعوا عنه تطهيراً كأحد الخطاة اتماما للشريعة وخضوعا لها وقد قال في هذا الصنيع القديس برنردوس . هوذا قدوس القديسين يجب أن يظهر خاطئا باختتانه . ويقول القديس بولس الرسول . ان الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم ... لانه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه (٢ كو ٥: ١٩ و ٢١)

عاشراً : ولما كان الحكم على آدم بالموت روحيا وجسديا

هكذا كان على يسوع المسيح الفادي والمخلص والمكفر عن آدم أن يموت على الصليب ويقبل الحكم الذي توقع على آدم

المسيح يقدم على الصليب

كانت حياة المسيح من ولادته الى صلبه ذبيحة كفارية على طول خط الحياة وكان الموت المحكوم به على آدم يعمل في شخصه كل يوم كقول المزمور « من أجلك نمات اليوم كله » (مز ٤٤ : ٢٢) فكان كل يوم يكفر عن كل خطية ويعوض عن كل اهانة وجهها آدم بعصيانه ربه وذلك بأن اخضع المسيح ذاته لكل شريعة وضعها الله والناس ، ومارس جميع الفضائل التي عجز الانسان عن ممارستها كما قال ليوحنا المعمدان . لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر ، ولما أكمل كل بر عمد الى الصليب ليقبل الموت المريع بصفته حمل الله الذي يرفع خطية العالم (يو ١ : ٢٩)

ولما كان الحكم الذي صدر على آدم بالموت كان صدوره من الله ، كان لا بد أن يصدر الحكم بالموت على المسيح من البشر ومن هيئة تمثل الله

ولما كان مجمع السنهدرين اليهودي مكونا حسب أمر الله لموسى (خر ص ١٨ و ٢٤).

ولما كان ليس بسلطان الا من الله والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله حتى ان من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله (رو ١٣ : ١ و ٢)

قد صدر الحكم بالموت على المسيح من المجمع الدينى المرتب بأمر الله وصودق عليه من السلطة الزمنية - بيلاطس البنطى - الوالى من قبل قيصر الرومان . وبذلك صار يسوع البار الذبيحة الرسمية المقدمة لله عن خطية العالم والتى صادقت عليها شريعة اليهود وشريعة الامم فأصبح يسوع نائبا رسميا ليموت عن كل العالم من يهود وأمم

ولما كانت الذبيحة لا تقدم على المذبح لتحرق إلا بعد سلخها هكذا يسوع له المجد ذبيحتنا المقدسة قبل أن يقدم الى مذبح الصليب حكموا عليه بالجلد

ومعلوم أن أية ذبيحة حيوانية عند سلخها تجلد بالعصى لينفصل جلدها عن لحمها لسهولة السلخ كما نشاهد هذا يوميا عند ذبح الحيوانات

وجلد السيد المسيح الذى حكم به عليه قبل الصلب لم يكن بالقضبان وحدها بل بمقارع من جلد وحبل وكان بطريقة وحشية اذ استعملت بكل قسوة لان رؤساء اليهود قدموا رشوة للجلادين لكى ينزلوا شديد نقمتهم حين يجلدونه وذلك لكى يميتوه تحت الجلد خشية أن يكتفى بيلاطس الوالى بجلده فيطلقه كما قال لهم « أنا أؤدبه وأطلقه » ولذلك ظهرت وحشية البشرية فى منقذ البشرية حتى تناثر لحمه وبانت عظامه وتمما أنبأ به داود النبي قائلا : وأحصوا كل عظامى (مز ٢٢ : ١٧)

وبعد ما سلخوا الذبيحة المقدسة أتوا به الى مذبح الصليب ليحرق بنار الالم . وكما كانت النار قديما تنزل أحيانا من السماء على الذبيحة فتلتهمها وكان نزولها علامة القبول والرضى بالذبيحة هكذا على ذبيحة الصليب نزلت نار الغضب الالهى من السماء لان غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم (رو ١ : ١٨) لان الله قدوس يكره النجاسة والشر فيقاصصه ويعاقبه ويطارده أينما وجد ويصب على الخطية جامات غضبه ويشعل نار سخطه على كل جسد يتنجس بها فلا يشفق على من يراه متلبسا بها . والمسيح حمل هذه الخطية بل وصار خطية لاجلنا كما يقول الرسول : لانه جعل الذى

لم يعرف خطية خطية لاجلنا لنصير نحن بر الله فيه (٢ كو ٥ : ٢١) وبما أنه ليس عند الله محاباة (رو ٢ : ١١) لذلك لم يشفق على ابنه بل بذله لاجلنا أجمعين (رو ٨ : ٣٢) وأنزل نار غضبه على الخطية التى حوصرت فى جسد ابنه يسوع المسيح البار

ولما كانت الخطية قد أفسدت طبيعة الانسان روحه وجسده احساسه وشعوره عقله وتفكيره ، وان كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير ، (تك ٦ : ٥)

ولما كان جزاء هذه الخطية الحكم بالموت على آدم ونسله وهذا الموت يتناول كل تكوينه من روح وجسد .

كان لابد للمسيح أن يموت ويتألم فى جسده وروحه ليكفر عن الانسان الذى له روح وجسد الامر الذى لم تستطع الذبائح الحيوانية أن تؤديه لخلوها من الروح والعقل الانسانى ولذلك كانت هذه الذبائح بلا جدوى

أما المسيح له المجد فقد تألم وتعذب فى كل من جسده وروحه وحواسه تعذيبا خصوصيا .

أولا - تعذب فى جسده بالجلد على الصورة التى أوضحناها وبعد أن جلدوه ألبسوه اكليلا من الشوك ومكنوه فى رأسه حتى انغرس فى جلد رأسه وكأنه لم يكفهم هذا ضربوه بقصبة على رأسه ليمكنوا الشوك من الوصول الى المخ مركز الشعور والاحساس وبعد ان لكموه وضربوه على وجهه حملوه الصليب وقد كان ثقيلا وثقيلا لاسيما وحال اعيائه وتعبه واهاناته الشديدة وطافوا به الشوارع وصعد به على الجبل حتى وقع عنه رازحا وبعد أن وصلوا الى الجلجثة مدوا الضحية على الصليب وشدوا يديه بكل عنف ومدوها لدق المسامير الحادة بمطارقة قدت من قلوبهم الفولاذية التى لا تعرف الشفقة فراحت المسامير فى الكفين تخترق الجلد واللحم والعظم والعروق والشرايين حتى نفذت الى خشبة الصليب ولزيادة التثبيت أخذوا يدقون رأس المسمار حتى ضغطت كفاه ضغطا شديداً بين رأس المسمار والصليب

ثم جاءوا على الرجلين ودقوا المسامير فى القدمين وهما مركز الاحساس حتى التصقتا بالخشبة وهم غير مبالين عما يحدث فى هذه الحالة من توتر الاعصاب وهكذا غاصت المسامير فى القدمين محرقة كل ما صادفه من جلد ولحم وعظام حتى نفذت الى الخشبة وأضحت القدمان فى ضغط مرير بين رأس المسامير والخشبة . وبعد أن سمروه على هذه الصورة المريعة رفعوا الصليب عن الارض وضربوا به فى الحفرة لتثبيته وهنا لا يطيق العقل البشرى أن يتصور مقدار الآلام التى تحدثها هذه الرجة فى مجروح جسمه حيث تتغير مواضع المسامير وتتسع كما تتغير مواضع العظام أيضا وعند هذا تم ما قاله داود عن المسيح انفصلت كل عظامى (مز ٢٢ : ١٤) وهكذا أقاموا الصليب على جبل الجلجثة عرضة لحرارة الشمس المحرقة ولسان حال السيد يقول ما قاله داود النبى متنبئا عنه : كالماء انسكبت . انفصلت كل عظامى . صار قلبى كالشمع . قد ذاب فى وسط امعائى . يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى (مز ٢٢ : ١٤ و ١٥) وقد سبق اشعياء فرأى بعين النبوة ما حل بسيد البرايا ومنقذ البشرية فقال : ولكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا . وهو مجروح لاجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا . من الضغطة ومن الدينونة أخذ وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الاحياء . أنه ضرب من أجل ذنب شعبى (اش ٥٣ : ٤ - ٨) !

ولما أشتد عطشه وجفت رطوبته من اشتداد نار الغضب الالهى المتقدة فى ذبيحة جسده قال أنا عطشان فلم يجد رقة من المحيطين به فعوضا عن أن يقدموا له كأس ماء بارد وقد سمعوه وهو يعلمهم عن أجر من يعطى كأس ماء بارد باسم نبى أو قديس ولكنهم تعدوا لاقصى حدود الجماد الذى لان لهم قديما حينما تفجرت الصخرة ورويت عطشهم فى البرية أمامهم فقدموا الى يسوع خلا ممزوجا بمرارة فذاق ولم يرد أن يشرب

ثانيا - تعذب وتألم فى حواسه وشعوره . وإذا علمت أيها القارىء لطف مزاج يسوع المسيح ورقة شعوره الذى لم تمسه الخطية التى من شأنها أن تبلد الانسان مهما كان مهذبا ورقيقا ، أدركت مقدار آلامه الشديدة التى لحقته ليس من العذابات الجسدية فقط بل من الاهانات العديدة وذلك عند ما امسكوه فى البستان كلص واوثقوه كأثيم خطر يخشى منه أن يسير فى الشوارع غير مقيد ، لطموه على وجهه كانسان وقح . بصقوا على وجهه كرجل مجدف أوقفوه فى بيت قيافا للسخرية واللطم واللكم يعصبون عينيه ويلكمونه ويقولون له تنبأ لنا من لطمك . أوقفوه أمام بيلاطس ولفقوا عليه شهادات الزور . يطلب شعب اليهود الى بيلاطس أن يطلق لهم المجرم الاثيم باراباس أما يسوع فيصلب وفى هذا ما فيه من الآلام النفسانية التى يشعر بوقعها البرىء الذى غلت يداه وسط قومه وأطلقت يد الاثيم الفاجر فتشتد آلامه النفسية فيقول « رفضونى أنا الحبيب » .

عامله هيرودس ايضا باحتقار هو وعسكره اذ البسوه ارجوانا للسخرية والاحتقار . وصلبه كالعبيد المجرمين وجعلوا على يمينه وعلى يساره لصين كأنه زعيم لصوص . شبعت نفسه من العار والاهانة حتى انه لم يمت متأثراً بجراحه الجسدية بل مات متأثراً بجراحه الادبية التى جرحت شعوره واحساسه فمات هكذا سريعاً الامر الذى أدهش الوالى لأن الساعات التى قضاها على الصليب لم تكن كافية لموت المصلوبين لأن اللصين كانا حيين فاضطر العساكر ان يعجلوا موتهم بتكسير سيقانهم

وهناك أكبر دليل واضح على ان المسيح مات متأثراً بجراح احساساته وأذية شعوره هو نزول الماء والدم من جنبه عند ما طعنوه بالحربة بعد الموت وهاك التعليل الطبي للدكتور الذائع الصيت درموند روبنسون احد الذين يعول على رأيهم فى عصرنا الحاضر قال . يموت المصلوب عادة فى مدة تتراوح بين ٢٤ - ٢٨ ساعة . وان المصلوبين يموتون عادة بنتيجة هبوط تدريجى فى الجسم

والمسيح لم يمت كموت المصلوبين لانه مات بعد ست ساعات لا بعد ٢٤ او ٢٨ ساعة كما انه لم يمت بالهبوط التدريجى كالمصلوبين بدليل انه عند ما أسلم روحه كما يقول الكتاب صرخ يسوع بصوت عظيم مرتين مرة عند ما قال ايلى ايلى لما شبقتنى ومرة عند ما اسلم الروح (مت ٢٧ : ٤٦ و ٥٠) وهذا الصراخ بالصوت العظيم عند تسليمه روحه لا يدل على ان المسيح مات بالهبوط التدريجى

اذن يكون المسيح قد مات متأثراً بانفجار فجائى فى جدران القلب نتيجة ضغط الآلام النفسية عليه

وهذا التفسير يتفق مع نبوة داود عن آلام المسيح على الصليب اذ قال : العار قد كسر قلبي (مز ٦٩ : ٢٠) وعند انفجار جدران القلب ينساب الدم من تجويف القلب الى الغشاء المحيط به فينتج عن هذا سكتة قلبية تنتهي بالموت العاجل ثم ينفصل هذا الدم المنساب الى خثارة حمراء دموية والى مصل مائي وهما الماء والدم اللذان خرجا من جنب يسوع المسيح عند ما طعنه الجندي بالحربة في جنبه

ومن هذا نعلم مقدار الآلام النفسانية التي عاناها الرب يسوع بارادته ، ولما قدموا له الخل الممزوج بالمرارة الذي يعطى عادة للمصلوبين لتخديرهم حتى لا يشعروا بقسوة الآلام ، امتنع عن أن يشرب لانه رأى أن في هذا هروبا من الالم والشعور به فاراد أن يتحمل القصاص الروحي والجسدي بشعور قوي حساس

ثالثا ـ تألم في روحه أيضا لأن آدم قد حكم عليه بالموت الجسدي والروحي فلا بد للمسيح أن يتألم لا جسديا فقط بل وروحيا أيضا . ولما كان الموت الروحي المحكوم به على آدم معناه انفصال روحه عن الله كما أن الموت الجسدي هو انفصال الروح عن الجسد . فكان لا بد للمسيح أن يشعر بهذا الموت الروحي وأن يعبره على الصليب في كلماته التي صرخ عند لفظها قائلا الهي الهي لماذا تركتني (مت ٢٧ : ٤٦)

معلوم أن الخطية تفصل بين الله وبين الانسان كقول النبي لبني اسرائيل بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم (اش ٥٩ : ٢) ومعلوم أن المسيح حمل خطايا العالم بل وصار خطية لأجلنا فكان لا بد أن الله يحجب وجهه عن الخطية وحاملها ساعة التكفير عنها والعادة أن دخان الذبيحة يصعد على المذبح كسحاب يغطي البيت هكذا كانت خطايا البشرية ودخان حريق الغضب الالهي فذبيحة المسيح بمثابة سحابة حجبت التعزيات الالهية عن أن تصل الى بشرية يسوع فصاح قائلا لماذا تحجب وجهك وتركني للالام المبرحة بلا تعزية وهذا الحجب الوقتي ليس معناه أن اللاهوت فارق الناسوت لأن السحاب يحجب نور الشمس عن جو الأرض ولكن هذا ليس معناه أن الشمس في ساعة السحاب المخيم على سطح الأرض تكون قد فارقت الأرض بل ما زالت موجودة فيها

وكذلك لنا نحن البشر عقل باطن وعقل ظاهر واحيانا كثيرة تحتجب عن عقولنا الظاهرة وتغيب ذكريات والهامات كامنة في عقلنا الباطن لاسباب كثيرة ومع ذلك فلا يكون العقل الباطن قد فارق عقل الانسان الواعي وهكذا الحال مع ناسوت المسيح ولاهوته فان تعزيات الطبيعة الالهية التي هي بمثابة العقل الباطن احتجبت عن الطبيعة البشرية التي هي بمثابة العقل الواعي او الظاهر ومع ذلك فاللاهوت لم يفارق الناسوت لحظة واحدة ولا طرفة عين بل كان معه في القبر بدليل ان جسده لم ير فساداً ولا حدث فيه التحليل أو التعفن كبقية البشر وذلك كما تنبأ عنه داود النبي قائلا لانك لن تترك نفسي في الهاوية . لن تدع تقيك يرى فساداً (مز ١٦ : ١٠) فمن هذا نفهم أن اللاهوت كان مع روحه عندما ذهبت الى الهاوية مقر الارواح البشرية بعد خروجها من الجسد كما كان مع جسده في القبر لكي لا يدعه يرى فساداً فلا يتعفن كبقية الأجساد

وبعد أن أتم السيد تقديم ذبيحته واكمل عمل الفداء والخلاص صاح على الصليب قائلا : كل شيء قد أكمل .

ولما أكمل الفداء أنزلوه عن الصليب كما كانوا يفعلون قديما بالذبيحة بعد حرقها يجمعون ترابها من على المذبح ويخرجونه في مكان خاص وهكذا أنزلوا ذبيحة الصليب ليدفنوه في القبر والى القبر أخذ يسوع معه الخطية التي أمات مفعولها وسلطانها بموته على الصليب اذ سمرها معه وقتلها وهناك دفنها بحيث ما عادت تقوم بسلطانها وسيادتها كما كانت قبلا

فرقدت الخطية في التراب وقام يسوع صريعها وقتيلها الى المجد الابدي ليملك على القلوب بدلا عن الخطية التي كانت تملكها كما يقول الرسول بولس : كذلك انتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا اذا لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته ... فان الخطية لن تسودكم لانكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة (رو ٦ : ١١ و ١٢ و ١٤) .

معنى انكار صلب المسيح

ان انكار عقيدة صلب المسيح وموته

(١) انكار للديانة اليهودية التى قامت على الذبائح الكفارية التى كانت تقدم بالنيابة عن الخاطىء . لان عبادة اليهود كانت عبارة عن ذبائح كفارية تقدم صباحا ومساء عدا ما يقدمه فى النهار جميع الذين اقترفوا أخطاء. وهذه تلك الذبائح التى كانت رمزاً واشارة الى موت المكفر الاعظم الرب يسوع المسيح كما يقول الرسول بولس : لانه لا يمكن ان دم ثيران وتيوس يرفع خطايا لذلك عند دخوله الى العالم يقول ذبيحة وقربانا لم ترد ولكن هيأت لى جسداً . بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر . ثم قلت هئنذا أجى فى درج الكتاب مكتوب عنى ان افعل مشيئتك يا الله ... فبهذه المشيئة نحن مقدسون، بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة . وكل كاهن يقدم كل يوم يخدم ويقدم مراراً كثيرة تلك الذبائح عينها التى لا تستطيع البتة ان تنزع الخطية واما هذا فبعد ان قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس الى الابد عن يمين الله (عب ١٠ : ٤ - ١٢)

(٢) ان انكار موت المسيح وصلبه انكار أيضا لنبوات الانبياء الذين تنبأوا عن موت المسيح وآلامه على الصليب ، وانكار للتوراة والانجيل اللذين يدوران حول محور الصليب الذى يحتل جميع اجزائهما اذ لم يخل سفر فيهما من الكلام عن صلب المسيح وموته سواء أكان عن طريق الرمز أو الاشارة أو التصريح

وها نحن نذكر لك القليل مما ورد فى التوراة وما يقابلها فى الانجيل

(١) بغض اليهود للمسيح (مز ٦٩ : ٤ و اش ٤٩ : ٧ و يو ١٥ : ٢٤ و ٢٥)

(٢) رفض ولاة اليهود اياه (مز ١١٨ : ٢٢ و مت ٢١ : ٤٢ و يو ٧ : ٤٨)

(٣) اتفاق اليهود والأمم عليه (مز ٢ : ١ و ٢ و لو ٢٣ : ١٢ و اع ٤ : ٢٧)

(٤) تسليم صديقه اياه (مز ٤١ : ٩ و ٥٥ : ١٢-١٤ و يو ١٣ : ١٨ و ٢١)

(٥) ترك تلاميذه اياه (زك ١٣ : ٧ ومت ٢٦ : ٣١ و ٥٦)

(٦) بيعه بثلاثين من الفضة (زك ١١ : ١٢ و مت ٢٦ : ١٥)

(٧) شراء حقل الفخارى بثمنه (زك ١١ : ١٣ و مت ٢٧ : ٧)

(٨) شدة آلامه (مز ٢٢ : ١٤ و ١٥ و لو ٢٢ : ٤٤)

(٩) آلامه من اجل الآخرين (اش ٥٣ : ٤-٦ و ١٢ و دا ٩ : ٢٦ ومت ٢٠ : ٢٨).

(١٠) صبره وصمته فى احتمال الآلام (اش ٥٣ : ٧ ومت ٢٦ : ٦٣ و ٢٧ : ١٢-١٤).

(١١) لطمه على الخد (مى ٥ : ١ و مت ٢٧ : ٣٠)

(١٢) فساد منظره (اش ٥٢ : ١٤ و ٥٣ : ٣ و يو ١٩ : ٥)

(١٣) البصق عليه والجلد (اش ٥٣ و مز ١٤ و يو ١٩)

(١٤) تسمير يديه ورجليه (مز ٢٢ : ١٦ و يو ١٩)

(١٥) الهزء به (مز ٢٢ : ٧ و ٨ و مت ٢٧ : ٣٩-٤٤)

(١٦) سقيه خلا ومرارة (مز ٦٩ : ٢١ و مت ٢٧ : ٣٤)

(١٧) القاء القرعة على ثيابه (مز ٢٢ : ١٨ و مت ٢٧ : ٣٤)

(١٨) احصاؤه مع اثمة (اش ٥٣ : ١٢ و مر ١٥ : ٢٨)

(١٩) شفاعته فى الذين صلبوه (اش ٥٣ : ١٢ و مر ١٥ : ٢٨)

(٢٠) موته (اش ٥٣ : ١٢ و مت ٢٧ : ٥٠)

(٢١) فى ان عظما منه لا يكسر (خر ١٢ : ٤٦ و مز ٣٤ : ٢٠ ويو ١٩ : ٣٣ و ٣٦).

(٢٢) طعنه (زك ١٢ : ١٠ و يو ١٩ : ٣٤ و ٣٧)

(٢٣) دفنه مع غنى (اش ٥٣ : ٩ و مت ٢٧ : ٥٧-٦٠)

(٢٤) جسده لن يرى فساداً فى القبر (مز ١٦ : ١٠ و اع ٢ : ٣١)

(٢٥) قيامته من بين الاموات (مز ١٦ : ١٠ و اش ٢٦ : ١٩ ولو ٢٤ : ٦ و ٣١ و ٣٤).

ثانيا - ما ورد فى العهد الجديد من كرازة وتعاليم مبنية على صلب المسيح

(١) قال بطرس فى اول خطاب تبشيرى ان الله جعل يسوع المسيح هذا الذى صلبتموه أنتم ربا ومسيحا (اع ٢ : ٣٦)

(٢) يسوع الذى اسلمتموه انتم وانكرتموه أمام وجه بيلاطس رئيس الحياة.

قتلتموه الذى أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك (اع ٣ : ١٣ — ١٥)

(٣) باسم يسوع الناصرى الذى صلبتموه أنتم الذى أقامه الله من الأموات (اع ٤ : ١٠)

(٤) اذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح (١بط ١ : ١١)

(٥) والشاهد لآلام المسيح (١بط ٥ : ١)

(٦) ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات افتديتم بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح (١بط ١ : ٣و١٩)

(٧) فان المسيح أيضا تألم لأجلنا ... الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة ... الذى بجلدته شفيتم (١بط ٢ : ٢١ و٢٤)

(٨) فان المسيح أيضا تألم مرة واحدة من اجل خطايانا البار من أجل الاثمة لكى يقربنا الى الله مماتا فى الجسد ولكن محيي فى الروح (١بط ٣ : ١٨)

(٩) فاذ قد تألم المسيح لاجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضا بهذه النيه (١بط ٤ : ١)

(١٠) وقال بولس الرسول : لانى لم اعزم أن أعرف شيئا بينكم الا يسوع المسيح واياه مصلوبا (١ كو ٢ : ٢)

(١١) والله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضا بقوته (١ كو ٦ : ١٤)

(١٢) فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يجىء (١ كو ١١ : ٢٦)

(١٣) حاملين فى الجسد كل حين اماتة الرب يسوع ... عالمين ان الذى اقام الرب يسوع سيقيمنا نحن بيسوع ويحضرنا معكم (٢ كو ٤ : ١٠-١٤)

(١٤) لانه وان كان قد صلب من ضعف لكنه حى بقوة الله (٢ كو ١٣ : ٤)

(١٥) واذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (فى ٢ : ٨)

(١٦) لان كثيرين يسيرون ... وهم اعداء صليب المسيح (فى ٣ : ١٨)

(١٧) الذى هو البداءة بكر من الأموات (كو ١ : ١٨)

(١٨) وتنتظروا ابنه من السماء الذى أقامه من الأموات يسوع الذى ينقذنا من الغضب الآتى (١ تس ١ : ١٠)

(١٩) الذين قتلوا الرب يسوع المقام من الأموات (٢ تى ٢ : ٨)

(٢٠) الذى أقام من الأموات راعى الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح بدم العهد الابدى (عب ١٣ : ٢٠)

(٢١) وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات (رو ١ : ٤)

(٢٢) نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذى اسلم من أجل خطايانا وأقيم لاجل تبريرنا (رو ٤ : ٢٤ و ٢٥)

(٢٣) ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا (رو ٥ : ٨)

(٢٤) أم تجهلون اننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الاموات ... (رو ٦ : ٣و٤)

(٢٥) لان الموت الذى ماته قد ماته للخطية مرة واحدة (رو ٦ : ١٠)

(٢٦) لأنك ان اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك ان الله أقامه من الأموات خلصت (رو ١٠ : ٩)

(٢٧) فان كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله (١ كو ١ : ١٨)

(٢٨) نحن نكرز بالمسيح مصلوبا (١ كو ١ : ٢٢)

(٢٩) لان فصحنا أيضا المسيح قد ذبح لاجلنا (١ كو ٥ : ٧)

(٣٠) ان المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وانه دفن وانه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب (١ كو ١٥ : ٣و٤)

(٣١) الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين (١كو ١٥ : ١٧و٢٠)

(٣٢) مع المسيح صلبت (غل ٢ : ٢٠)

(٣٣) وأما من جهتى فحاشا لى ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح (غل ٦ : ١٤)

(٣٤) أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح (اف ٢ : ١٣)

(٣٥) أحبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه لأجلنا قربانا وذبيحة لله رائحة طيبة (اف ٥ : ٢)

(٣٦) عاملا الصلح بدم صليبه (كو ١ : ٢٠)

(٣٧) التى فيها أقمتم أيضا معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات. اذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض . . . ومسمراً اياه على الصليب (كو ٢ : ١٢ و ١٤)

(٣٨) فان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق (كو ٣ : ١)

(٣٩) لانه ان كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله معه (١ تس ٤ : ١٤)

(٤٠) الذى مات لأجلنا (١ تس ٥ : ١٠)

(٤١) الذى بذل نفسه فدية لاجل الجميع (١ تى ٢ : ٦)

(٤٢) ان كنا قد متنا معه فسنحيا أيضا معه (٢ تى ٢ : ١١)

(٤٣) نراه مكللا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت . . . لانه فى ما هو قد تألم مجربا يقدر أن يعين المجربين (عب ٢ : ٩ و ١٨)

(٤٤) مع كونه ابنا تعلم الطاعة مما تألم به (عب ٥ : ٨)

(٤٥) وليس بدم تيوس أو عجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الأقداس فوجد فداء أبديا (عب ٩ : ١٢)

(٤٦) فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح ازلى قدم نفسه بلا عيب (عب ٩ : ١٤)

(٤٧) نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة لانه بقربان واحد قد اكمل الى الأبد المقدسين (عب ١٠ : ١٠ و ١٤)

(٤٨) فاذ لنا ايها الاخوة ثقة بالدخول الى الاقداس بدم يسوع طريقا كرسه لنا حديثا بالحجاب أى جسده (عب ١٢ : ٢)

(٤٩) يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهينا بالخزى (عب ١٢ : ٢)

(٥٠) لذلك يسوع أيضا لكى يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب (عب ١٣ : ١٢)

(٥١) ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية (١ يو ١ : ٧)

(٥٢) وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغى أن نضع نفوسنا لأجل الاخوة (١ يو ٣ : ١٦)

(٥٣) انه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا (١ يو ٤ : ١٠)

(٥٤) مستحق هو الخروف المذبوح ان يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة (رؤ ٥ : ١١)

(٥٥) النعمة لكم . . من يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات . . . الذى أحبنا وقد غسلنا بدمه وستنظره كل عين والذين طعنوه (رؤ ١ : ٥ و٧)

(٥٦) مستحق انت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك (رؤ ٥ : ٩)

تعال ايها الأخ المسلم بعقل القرن العشرين وصدر القرن العشرين الذى تتسع فيه الصدور للبحث والتنقيب وقرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان بدلا عن الحدة والغضب

تعال معى بعين مجردة الا من الحق والسعى وراءه لنتساءل معا قائلين إذا كانت حقيقة صلب المسيح قد شغلت أسفار التوراة والإنجيل والرسائل واحتلت جميع أجزاء الكتاب المقدس فكيف تكون آية القرآن القائلة « وما قتلوه » قد عنت انكار حقيقة الصلب ووقوعه على المسيح ؟! ألا يعتبر هذا القول منكم انكاراً وتكذيبا وطعنا على كل الكتاب المقدس وعلى كل سفر من أسفاره لأن كل الكتاب قد تكلم عن حقيقة موت المسيح والطعن فى كل الكتاب المقدس طعن فى القرآن الذى قال وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس « سورة آل عمران » فاذا كانت التوراة والانجيل قد أنزلهما الله هدى للناس فكيف يكون الهدى ضلالا اذا كان ماورد فيهما

عن حقيقة صلب المسيح قولا باطلا مبنيا على التخيل والتهيؤات ؟ والهدى يجب أن يكون واضحا وجليا لا يعتوره الشك بل يكون أساسه اليقين .

وكيف يقول القرآن : قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل . . . وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه « سورة المائدة » وأنتم لاترضون للمسيحيين أن يتمسكوا بحقيقة صلب المسيح التي حكم الانجيل والتوراة بصحتها وشغل كل صحائفه بهذه الحقيقة

وهل من المنطق أن يقول القرآن . وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله « سورة المائدة » ثم تطلبون منا بعد ذلك أن نترك حكم التوراة والانجيل بحقيقة صلب المسيح ونأخذ بآية واحدة وردت فى القرآن لم يتفق مفسرو القرآن على رأى فى تفسيرها وقامت الشبهات الكثيرة عليها كما أوردنا ذلك فى الصحائف السابقة .

تعالوا بنا ياقوم لنحتكم واياكم الى قضاة محاكم الشرعية ومحاكم الدولة الاسلامية من جنايات ومدنى ونبسط أمامهم آية القرآن التي تقول « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . . . وما قتلوه يقينا » كما نقدم لهم مئات الآيات الواردة فى التوراة والانجيل عن موت المسيح بوضوح وجلاء . ونعتبر آية القرآن وآيات التوراة والانجيل بهذا الخصوص بصفة شهود يشهدون أمام هذه المحاكم فهل من العدالة أن تأخذ هذه المحاكم بشهادة آية واحدة ملتبسة وغير واضحة قامت الشبهات عليها لدى مفسرى القرآن وتترك مئات الشهود من الآيات والبراهين الواردة فى التوراة والانجيل عن موت المسيح ؟ ! لا سيما اذا كانت آيات من القرآن تثبت وقوع الموت على المسيح كما جاء « فى سورة ال عمران » قوله « اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى » وفى سورة مريم قوله عن لسان عيسى : « وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا » وفى سورة مريم « السلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » وفى سورة المائدة قوله . « وكنت شهيداً عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » وقد فسرها الامام الفخر الرازى والجلالين بأن هذه الآية سيقولها المسيح عيسى لله يوم الحشر على الأرجح

ومعلوم أن المسيح فى مجيئه الثانى لا يأتى للصلاة أو الزكاة أو للشهادة أو للرقابة بل يأتى ليدين العالم فى حال مجيئه مباشرة كما ورد ذلك فى « الجزء الثانى من حديث البخارى ص ٤٩ » حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا الزهرى . . . عن رسول الله قال لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً . اذن تكون هذه الآية والآية الأخرى القائلة وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا دليلا على أن المسيح قد مات حال ما كان على الأرض يصلى ويزكى ويشهد ويراقب لأنه فى مجيئه الثانى لا يفعل شيئا من هذا بل ليدين العالم فقط

وهل يتفق مع العقل السليم أن يقصد القرآن بقوله وما قتلوه يقيناً نفى موت المسيح الذى تدور عليه التوراة والانجيل وتمتلىء صحائفهما بذكر هذه الحقيقة بينما يقول فى نفس الوقت أنه جاء مصدقاً للتوراة والانجيل كما ورد فى سورة البقرة قوله « يابنى اسرائيل . . . آمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم . . . مصدقا لما بين يديه » . « وفى سورة آل عمران » يقول : « ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم . . . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه » . وفى سورة النساء قوله : يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم . « وفى سورة المائدة » قوله : وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » ؟ !

نعم لا يتفق مع العقل ولا الواقع أن يكون القرآن قد قصد نفى صلب المسيح لأن هذا

١ — يتنافى مع قصد محمد من اقامة البرهان على أن قرآنه نزل من عند الله الامر الذى قصد أن يقيمه بوجود التوفيق بين ما جاء فى قرآنه وما ورد فى التوراة والانجيل فلا يعقل أن يصطدم بحقيقة ملأت التوراة والانجيل حقيقة صلب المسيح وموته

٢ — يطعن فى صحة القرآن نفسه لأن القرآن يقول أنه جاء مصدقا للتوراة والانجيل فاذا كانت الحقائق المنتشرة فى كل التوراة والانجيل كلها كاذبة وباطلة فيكون المصادق على الباطل باطلا وهذا مالا يقول به مسلم عاقل

٣ — يجعل مهمة القرآن باطلة وبلا معنى لأن القرآن جاء مهيمنا على الانجيل

والتوراة والهيمنة معناها الحراسة فاذا كانت حقائق الصليب وموت المسيح حكاية باطلة ومكذوبة كانت التوراة والانجيل باطلين أيضا فلا معنى لحراستهمـــا والهيمنة عليهما لأن هذا يكون بمثابة وضع حارس على بستان قطعت أشجاره وتخرب وتهدم

ولا يمكن القول بأن عقيدة صلب المسيح أدخلت على الكتاب وعلى المسيحيين بعد مجيء محمد ونزول القرآن لأن القرآن نفسه يشهد ويعترف بأن عقيدة الصلب كانت موجودة قبل مجيئه وقبل القرآن بدليل ورود تلك الآية التي نحن بصددها «وما قتلوه» اذ صدرت بقوله : قالت اليهود .

والنتيجة اذن تكون هكذا أن القرآن لم يقصد بهذه الآية أن ينفي موت المسيح نفيا باتا انما قصد ما أورده بعض المفسرين المسلمين الذي يتفق مع أقوال المسيحيين وكتابهم باعتبار المسيح روح الله وكلمته أو كما يقول المسيحيون وكتابهم أنه ابن الله فهو في الجسد قد مات بالجسد وهو حي بلاهوته وهذا ما قاله القديس بطرس الرسول. «مماتا في الجسد ولكن محيي في الروح» ١ بط ٣ : ١٨ » وقول بولس الرسول : لانه وان كان قد صلب من ضعف لكنه حي بقوة الله » ٢ كو ١٣ : ٤ »

فهو ذا نبوات العهد القديم وشهادات العهد الجديد كلها تجزم بضرورة موت المسيح وتعترف بحقيقة صلبه وموته وقيامته بدون لبس أو غموض وبنى رسل المسيح عقائدهم الخلاصية على أساس موته فاذا جاء محمد بعد ستة قرون ينادى بأن أقوال الانبياء والرسل وعقائد المسيحيين كلها غلط في غلط وان المسيح لم يمت فعلا فحينئذ تكون نبوات جميع الأنبياء باطلة وأقوالهم كاذبة ورسل المسيح خادعين ومخدوعين وهنا يكون محمد قد نقض كل اساس دينى اذ جعل الأنبياء غير صادقين والروح القدس الذي نطق فيهم خادعا

وهنا نهمس في آذان اخواننا المسلمين ونقول لهذا كان الأنبياء والرسل الذين اتوا بالعجائب والمعجزات قد كذبت اقوالهم ونبواتهم فماذا يكون الحال مع نبيكم محمد الذي جاء بدون معجزات فهلا تتعرض اقواله هو الآخر الى التكذيب لانه قال

بتكذيب نبوات الانبياء والرسل واعتبرهم واهمين في نبوات لانهم قالوا عن المسيح انه مات وهو لم يمت او على الاقل يتهم الله سبحانه وتعالى بالرجوع في كلامه والعدول عن مقاصده التي اعلنها بواسطة انبيائه في كونه اعلن عن لسان انبيائه بأن المسيح يأتي ويقتل صليبا بعد ان يهان ويبصق عليه ويجلد ويهزأ به واذا ما جاء المسيح رفعه الله حيا ونجيه من كل ما تنبأ عنه الانبياء فهل بعد ذلك يطمع الله في البشر ان يصدقوا انبياء يأتون بعد هؤلاء. الذين كذب أقوالهم نبي كمحمد لم يأت بآية أو معجزة وقد اتهمه خصومه باتهامات اضطر ان يدفعها عنه القرآن . فانكار الصلب يجعل الناس يعتقدون ان الانبياء كانوا واهمين ان المسيح سيموت وهو لم يمت

ان قليلا من التأمل والتروى يريح المسلمين والنصارى من الاخذ والرد في هذا الموضوع الهام الذي يتوقف عليه خلاص البشرية ان آمنت به وهلاكها اذا قالت بعدم حصوله فان كان المسيح لم يمت تكون بعد في خطيتها وواقعة تحت الحكم الالهى « موتا » « تموت »

(٢) انكار موت المسيح انكار أيضا للديانة المسيحية واعتبارها دينا باطلا منقوضا من اساسه لانه لو كانت عقيدة صلب المسيح وموته فرعا من فروع العقائد المسيحية او فكرة من الأفكار الدينية او رأيا من الآراء المذهبية لكان من السهل جداً على المسلمين ان ينفوها أو ينقضوها ، اما وان عقيدة الصلب أساس الديانة المسيحية وموضوع الايمان المسيحي والمحور الذي تدور عليه جميع العقائد المسيحية ، والدعامة التي يرتكز عليها الايمان والرجاء والمحبة المسيحية والنبع الذي تصدر عنه جميع الفضائل المسيحية وهي الشبكة الملحمة الممتدة في كل أساس الديانة المسيحية وعليها قام كل البنيان المسيحي من فضائل وعقائد وعبادات وطقوس واليك بيان ذلك :

(١) ان صلب المسيح كان ولا يزال موضوع الايمان والتبشير كما قال بولس الرسول : ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبا (١ كو ١ : ٢٣) وقوله فانني سلمت اليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا ان المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وانه

دفن وانه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب ... ولكن ان كان المسيح يكرز به انه قام من الاموات فكيف يقول قوم بينكم أنه ليس قيامة أموات ... وان لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل هو ايمانكم (١ كو ١٥ : ٣ و ١٢ و ١٤)

وأول خطاب فاه به بطرس الرسول يوم الخمسين مبشراً اليهود الذين أتوا الى العيد فى أورشليم من كل أمة على الأرض قال فى مفتتحه : أيها الرجال اسمعوا يسوع الناصرى ... هذا أخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه الذى أقامه الله ناقضا أوجاع الموت (اع ٢ : ٢٢و٢٣)

(٢) ان صلب المسيح هو خلاصة الايمان المسيحى والعقيدة التى تتضمن كل العقائد وهى مادة الايمان التى يجب على كل مسيحى ان يعرفها اذا لم يستطع معرفة الحقائق المسيحية كلها كقول بولس الرسول : لانى لم اعزم ان اعرف شيئا بينكم الا يسوع المسيح واياه مصلوبا (١ كو ٢ : ٢) ويؤيد هذا القول الاجماع المسيحى العام على هذه العقيدة مع اختلافاتهم فى كثير من الآراء والتفاسير التى فرقتهم الى شيع ومذاهب الا ان عقيدة صلب المسيح بقيت بينهم الرابطة الحقيقية التى ربطتهم معا فلم يختلفوا فيها ولا تشعبت آراؤهم عنها اذ الكل يعترفون بصوت واحد ان المسيح مات لاجل خطايانا واقيم لاجل تبريرنا (رو ٤ : ٢٥)

(٣) ان اسرار الكنيسة ووسائط النعمة التى بها يحصل المسيحى على النمو فى الديانة المسيحية والتى هى شروط اساسية فى الدخول الى الديانة المسيحية مبنية جميعها على حقيقة الاعتقاد بصلب المسيح

ا ـ سر المعمودية الذى هو باب الايمان للدخول فى الديانة المسيحية وهو الشرط اللازم لها كقول السيد المسيح : من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن (مر ١٦ : ١٦) وقوله فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨ : ١٩) هذه المعمودية مؤسسة على صلب المسيح كما يقول بولس الرسول أم تجهلون اننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته ، فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما اقيم المسيح من الاموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة ،

لانه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته (رو ٦ : ٣ - ٥) وقال بطرس الرسول : فان المسيح ايضا تألم مرة واحدة من اجل الخطايا البار من اجل الاثمة لكى يقربنا الى الله مماتا فى الجسد ولكن محيي فى الروح : الذى مثاله يخلصنا نحن الآن اى المعمودية (١ بط ٣ : ١٨ و ٢١)

فترى من هذه الآيات ان المعموديه التى يقتبلها المؤمن عند دخوله الى الديانة المسيحية يقتبلها تشبها بموت المسيح واعترافا منه بقبول مبدأ الكفارة وموت المسيح بالنيابة عنه وانه بهذه المعمودية المبنية على هذه النية والايمان صار مقربا الى الله ومخلصا من جميع خطاياه

ب ـ وكذلك سر المسحة المقدسة اى الميرون الذى ينال به المؤمن المعتمد موهبة ختم الروح القدس وعربونه فى القلب فانه مبنى ايضا على عقيدة صلب المسيح وموته لفداء العالم

هذا السر تكلم عنه بولس الرسول قائلا : ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح فى قلوبنا (٢ كو ١ : ٢١و٢٢) وقال عنه القديس يوحنا الرسول : واما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شىء (١ يو ٢ : ٢٠) فهذا الختم وهذه المسحة مستمد من دم المسيح وموته النيابى بل المداد الذى يغمس منه هذا الختم هو دم المسيح المهدور على الصليب كقول الرسول بولس انجيل خلاصكم اذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده (اف ١ : ١٣و١٤) وقوله: لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء (اف ٤ : ٣٠) ومعلوم ان الفداء قد تم بموت المسيح كما قال الرسول : ومخلصنا يسوع المسيح الذى بذل نفسه لاجلنا لكى يفدينا من كل اثم (تى ٢ : ١٣ و ١٤) الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته (اف ١ : ٧)

ج ـ وأيضا سر العشاء الربانى الذى هو موضوع عبادة المسيحيين وطقسها الذى يحتفلون به فى كل يوم أحد وفى الاعياد والمواسم مؤسس على صلب المسيح وموته

كقول السيد المسيح لتلاميذه . فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يجىء (١ كو ١١ : ٢٦) وقد أعطاه السيد المسيح لتلاميذه وللمؤمنين ليكون ايضا لذكرى موته كقول الانجيل وأخذ خبزاً وشكر وكسر واعطاهم قائلا هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم . اصنعوا هذا لذكرى . وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم (لو ٢٢ : ١٩ و ٢٠)

وهذا السر الجليل المبنى على موت المسيح قد أفرد له القرآن سورة من أكبر السور هى سورة المائدة وقد جاء فى هذه السورة : قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا وآية منك وأرزقنا وانت خير الرازقين قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين (سورة المائدة)

وقال الامام الفخر الرازى فى تفسير هذه الآية : تأمل فى هذا الترتيب فان الحواريين لما سألوا المائدة ذكروا فى طلبها اغراضا فقدموا ذكر الاكل فقالوا نريد ان نأكل منها واخروا الاغراض الدينية الروحية فاما عيسى فانه لما طلب المائدة وذكر اغراضه فيها قدم الاغراض الدينية ... وقوله (لنا عيداً لاولنا وآخرنا) اشارة الى ابتهاج الروح بالنعمة ... وقوله (من يكفر بعد منكم) اى بعد انزال المائدة (فانى اعذبه) قال ابن عباس يعنى مسخهم خنازير وقيل قردة وقيل جنسا من العذاب ... وان يوم نزولها كان عيداً لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم . وروى ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعا لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت أولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بأسم الله خير الرازقين.. فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أو

من طعام الآخرة فقال ليس منها ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية (الفخر الرازى الجزء الثالث ص ٤٧١)

والامام البيضاوى يقول فى تفسير هذه الآية قوله تكون لنا عيداً اى يكون يوم نزولها عيداً نعظمه ... (لاولنا وآخرنا) أى عيداً لمتقدمينا ومتأخرينا . روى أنها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيداً . وقيل يأكل منها أولنا وآخرنا وقرىء لاولانا وأخرانا بمعنى الأمة او الطائفة . ولم يأكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برىء ولم يمرض ابداً (البيضاوى الجزء الاول ص ٧٢)

ويقول الامام الزمخشرى فى تفسيره تكون لنا عيداً اى يكون يوم نزولها عيداً قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيداً ... معناه تكون لنا سروراً وفرحا لاولنا وآخرنا اى لمن فى زماننا ومن أهل ديننا ولمن يأتى بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمتقدمين منا والاتباع (الكشاف الجزء الاول ص ٤٤)

وهنا اعترف القرآن ومفسروه بأن سر العشاء الربانى او سر المائدة المقدسة له اغراض دينية روحية وانها اصبحت للمسيحيين عيداً لاولهم وآخرهم وأنها تمنح للروح بهجة بواسطة النعمة التى فيها وان من يكفر بها يعذب عذاباً شديداً لحد المسخ الى قردة او خنازير وان عيسى لما اراد الدعا عليها لبس صوفا وشكر وغسل وكشف عن منديل وقال الا يأكلها الا من كان احسنهم عملا وانها لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة بل شيء اخترعه الله بالقدرة العالية . وان النصارى يعيدون لها كل يوم احد وان الامة المسيحية تأكل منها جميعا بل ويأكل منها آخر الناس اى الى يوم البعث والنشور . واذا أكل منها فقير يغنى مدة عمره او مريض يبرأ

فأى غرض دينى وروحى لهذا السر المقدس ؟ اليس هو ذكرى موت الرب يسوع كما يقول الانجيل ؟ أليست هى المائدة التى يعيد لها المسيحيون ويحتفلون بها كل يوم أحد والتى فى تناولها تنال الروح بهجة ؟ واى بهجة أكبر من الشعور بغفران الخطية والخلاص منها الذى يأتى عن طريق موت المسيح الكفارى الذى تذكره النفس عند تناول سر المائدة ؟ هذا الفداء والخلاص الذى لم يأت من قوة بشرية ولا اختراع

بشرى بل شيء اخترعه الله بالقوة العالية. هذه الذكرى الخالدة التى تبقى حتى تقوم الساعة، ويأكل منها آخر الناس، هذا السر الذى من يأكل منه بدون استحقاق يكون مجرما فى جسد الرب وكثيرون يصبحون ضعفاء وكثيرون يرقدون بسبب كفرهم بهذه المائدة المقدسة كقول الرسول (١كو ١١: ٢٧-٣١) أليست هى المائدة التى يقول عنها الانجيل ان السيد فى ليلة آلامه عندما أعطى هذه المائدة للتلاميذ قام عن العشاء وخلع ثيابه واخذ منشفة واتزر بها ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل ارجل تلاميذه (يو ١٣: ٤ و ٥)

فهذه المائدة التى وصف القرآن والمفسرون مزاياها واعتبارها وعظمتها وقد طابقوا الاقوال الانجيلية فى ما جاء عنها مبنية على أساس موت المسيح والغرض الروحى منها والدينى ان تذكر موت الرب الى ان يجىء فى اليوم الأخير

د ـ وان السر السادس من اسرار الكنيسة وهو سر الزواج المسيحى يقوم على أساس موت المسيح من أجل الكنيسة وتقديم ذاته لاجلها وان المسيحى يتحد بزوجته على مثال اتحاد المسيح بالكنيسة وأن يعيش مضحيا لاجلها كاضحى المسيح لاجل الكنيسة كقول الرسول: أيها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لاجلها (اف ٥: ٢٥)

هـ ـ بل ووظيفة القسوسية فى الكنيسة المسيحية اى الوظيفة الرعوية أو سر الكهنوت مبنى على أساس موت المسيح رئيس الرعاة الذى بذل نفسه عن الرعية كما قال له المجد: انا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف (يو ١٠: ١١) وقال بولس الرسول محرضا الاساقفة والقسوس قائلا: احترزوا اذا لانفسكم ولجميع الرعية التى اقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه (اع ٢٠: ٢٨) وهؤلاء القسوس قد ذكرهم القران قائلا: ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وهم لا يستكبرون (سورة المائدة)

وفوق هذا فان صلب المسيح موضوع فخر المسيحيين كقول الرسول واما من جهتى فحاشا لى ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح (غل ٦: ١٤)

فعقيدة تدخلت فى جميع العقائد المسيحية وصارت أساسا لايمانها وعبادتها وطقوسها يكون من الصعب جداً وغير المعقول انكارها

عقيدة الصليب عصب المسيحية ودمها

ان عقيدة الصليب امتدت فى كل العقائد المسيحية وطقوسها وعبادتها واعيادها وعاداتها كما امتدت فى كل اسفار التوراة والانجيل كما تمتد الاعصاب الى كل اعضاء الجسم من الرأس الى القدمين وجرت فى هيكل الديانة المسيحية كما يجرى الدم فى كل ذرة وخلية من خلايا الجسم

أولا: فى أعيادهم ومواسمهم

(١) يوم الاحد عيدهم الاسبوعى ويوم راحتهم المخصص للعبادة قد بنى على أساس عقيدة الصلب لانه تذكار لليوم الذى قام فيه المسيح من بين الاموات وذلك منذ نشأة الديانة المسيحية ومع كون المسيح اعطى تلاميذه سر المائدة ـ سر جسده ودمه ـ ليلة الجمعة اى فى الليلة التى أسلم فيها وذلك ليكون هذا السر تذكارا لموته فان المسيحيين عموما وفى مقدمتهم الرسل قد اجمعوا على جعل يوم الاحد ايضا اليوم الذى تقام فيه شعائر المائدة فيتناولون فيه العشاء الربانى ليكون تذكاراً لموت المسيح فى يوم قيامته ايضا وهذا يكون مطابقا لكلمات التقديس التى نتلوها بلسان السيد المسيح حسبما نطقها قائلا: كلما اكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكأس تخبرون بموتى وتعترفون بقيامتى وتذكرونى الى ان آجىء.

وقد شهد الامام البيضاوى فى تفسيره لسورة المائدة بأن المائدة نزلت يوم الأحد فلذلك اتخذه النصارى عيداً (البيضاوى الجزء الاول ص ٧٢)

وجاء فى كتاب السيرة النبوية المكية انه بعد ان هاجر أصحاب النبى الى يثرب (المدينة) وكانت يثرب محاطة بقبائل اليهود وبعض النصارى أرسل اليه أصحابه يقولون يا رسول الله ان لليهود يوماً من كل أسبوع يدعى السبت فيه ينقطعون الى

عبادة الله تعالى ويجتمعون جماعة فى مساجد خاصة لهم لقراءة التوراة وللصلاة والوعظ وكذلك للنصارى يوم الاحد يجتمعون فيه للعبادة والصلاة فى محلات خاصة ونحن المسلمون لا يوم لنا خصوصى نجتمع فيه لعبادة الله تعالى أسوة بأهل الكتاب اليهود والنصارى فأجابهم متى كان اليوم الذى يليه السبت اجتمعوا جماعة فى مكان مخصوص للصلاة والقاء الخطب الوعظية فيكون لكم هذا اليوم يوم جمعة

بل وقد شهد وثنى عظيم كان قد اعتنق الديانة المسيحية هو فلافيوس جوستنوف فى رسالة رفعها الى الامبراطور انتونينوس بيوس دافع فيها عن الديانة المسيحية فقال: اننا نجتمع معا يوم الاحد لاجل العبادة ودرس كتاب الله لان الله فى مثل هذا اليوم خلق النور وكذلك فيه قام يسوع المسيح مخلصنا من الاموات وظهر لتلاميذه

(٢) يوم الجمعة . كان المسيحيون ولا يزالون الى يومنا هذا يصومون يوم الجمعة من كل اسبوع الى الساعة الثالثة بعد الظهر مع صلوات وتذلل تذكاراً لآلام المسيح وموته . ويقيمون فيها القداس الذى هو احتفال بطقس المائدة او سر العشاء الربانى الذى أعطاه السيد المسيح لتلاميذه ليلة صلبه ليكون تذكاراً أيضا لموته على الصليب

(٣) وكذلك يوم الجمعة الحزينة سنويا هذا اليوم الذى تحفظه جميع المذاهب المسيحية بصوم طويل وصلوات كثيرة وحزن عميق تذكاراً لليوم الذى مات فيه ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح على خشبة الصليب . بل ويمثلون فيه جميع الظروف والاحوال التى حدثت فى موت المسيح اذ يرفعون الى مكان مرتفع صورة المسيح مصلوبا ويوقدون أمامها الشموع ويعلقون المباخر ويقومون بتراتيل خاصة بالصلب ويقرأون الفصول العديدة من التوراة والانجيل مما يتعلق بصلب المسيح وموته ويطفئون الانوار تمثيلا للظلمة التى غشت الأرض يوم صلب ربنا يسوع المسيح ويتهافتون على شرب الخل الممزوج بالمر ليشاركوا مخلصهم فيما سقوه من خل ممزوج بمرارة يوم صلبه ويختمون احتفال اليوم بدفن الصورة والصليب كما دفن مخلصهم ولا يبعد ان يكون محمد قد تأثر من اهتمام المسيحيين بهذه الجمعة الحزينة ورأى ما فيها من عبادات مؤثرة وتقشف وخشوع مجعل على وزنها ما يقال له الى هذا اليوم . الجمعة

اليتيمة كما جعل يوم الجمعة للمسلمين يصلون فيه ويجتمعون على مثال ما كان اليهود والنصارى يعملون كما مر بك أيها القارىء مما ورد فى السيرة النبوية المكية خاصا بيوم الجمعة كما أخذ يوم عاشورا عن اليهود اذ قال نحن أولى منكم بموسى (حديث مسلم جزء ٣ ص ١٠١)

(٤) وعيد القيامة الذى كان عند المسيحيين من بداءة الديانة المسيحية كعيد الفصح العظيم وهذا كما هو معلوم انه تذكار لقيامة السيد المسيح من بين الأموات وفيه يمثل المسيحيون قيامة السيد المسيح وشروق نور قيامته بما يطفئون من الانوار فى الكنائس وعند قولهم المسيح حقا قام يشعلون الأنوار الكثيرة ويرتلون الأناشيد عن قيامة المسيح . بل ويتكبدون مشاق الأسفار ويتعرضون للاخطار كل عام لزيارة قبر السيد المسيح ومشاهدة تمثيل قيامته وشروق نوره على القبر المقدس . وقد أخذ المسلمون عادة الحج الى مكة لزيارة قبر نبيهم عن المسيحيين الذين يزورون قبر المسيح فى كل سنة والمؤرخ العظيم أوسابيوس المعاصر للملك قسطنطين الكبير الذى كتب تاريخ الكنيسة المسيحية منذ نشأتها الى سنة ٣٢٥ قد ذكر فى كتابه الخامس من تاريخه أن بوليكاربوس اسقف أزمير زار فى سنة ١٦٠ انيستوس أسقف رومية وذلك عند ظهور فرق فى الوقت الذى يحفظ فيه هذا العيد فى أزمير ورومية وكيف ان كلا منهما دافع عن الوقت المعين عنده لحفظ العيد مبرهنا على أنه قديم العهد فى بلاده .

وهذا يدل دلالة صريحة على أن تذكار موت المسيح وقيامته كان له كل الاعتبار والمراعاة فى الجيل الأول فى رومية وأسميرنا

ثانيا : العادات المرعية ـ فانه بالرغم عن كون الصليب موضوع عار وتحقير وازدراء عند الوثنيين الذين كانوا يعيرون المسيحيين بكونهم من اتباع المصلوب فان المسيحيين نظروا الى الصليب بعين المحبة والاعتبار والشكر لانهم آمنوا أن المسيح قدم نفسه عليه ذبيحة كفارته عن خطاياهم وفدية عن نفوسهم وخلاصا لأرواحهم فجعلوه موضوع فخرهم وعنوان مجدهم وآلة انتصاراتهم كما يقول رسول المسيح بولس:

https://coptic-treasures.com/

« أما أنا من جهتي فحاشا لي أن أفتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم (غل ٦ : ١٤)

وبالرغم عن الاضطهاد الواقع عليهم ومهاجمة كنائسهم فانهم كانوا ينقشون الصليب على قبور أعزائهم ويرفعونه على أبواب كنائسهم ومناراتها وأحجبة هياكلهم وعلى كل أواني الكنيسة والملابس الكهنوتية

وفي المعمودية يرسمون المتعمدين بالصليب وكذلك عند الدهن بالزيت أو الميرون ويرسمونه الى هـــذا اليوم على وجوههم عند نومهم وقيامهم وعند الاكل وبدء كل عمل وبدء صلواتهم وعبادتهم للمسيح الذي صلب لاجلهم . بل وفي مقدمة كتبهم المنسوخة لان المسيح المصلوب هو موضوع بحثهم وعلمهم وفهمهم . ولا يزال الصليب عند جميع الممالك علامة العطف والانسانية وانكار الذات وحب التضحية يقود جنود الخير وملائكة الرحمة الى ساحات القتال تحت علمه الأحمر (الصليب الأحمر) لتضميد جروح الأعداء قبل الأحياء ، الخدمة المنبثقة من صليب المسيح الذي جرى تحته دمه الأحمر القاني والذي صلى عليه من أجل أعدائه

ولا يزال الصليب الى هذا اليوم يصعد على قمة تيجان الملوك اعتقادا بحكمة الصليب (١ كو ١ : ١٨ - ٢٤) الحكمة التي قال عنها سليمان : انا الحكمة . . . بي تملك الملوك وتقضي العظماء عدلا (ام ٨ : ١٢ - ١٦) وهذه الحكمة التي غيرت أفكار الملوك والسلاطين الذين كانوا يظنون أن الرعية خلقت لاجلهم ولكن ملك الملوك يسوع وضع لهم المثل الأعلى بأن الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف . فوضع الصليب على صدور الملوك ورؤوسهم يذكرهم بواجب التضحية لاجل شعوبهم

بل وكنت ترى ولاتزال ترى الصليب يتقدم جنازات المسيحيين وهم يشيعون الى ظلمة القبر كاعلان صريح وتكرار صامت لقول الرسول : ولكن الآن قد قام المسيح من الاموات وصار باكورة الراقدين فانه اذ الموت بانسان بانسان أيضا قيامة الاموات لانه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع (١ كو ص ١٥)

فاذا كان الصليب قد تغلغل في كل عبادات المسيحيين وطقوسهم وتعاليمهم أو بالحرى

قد بنيت عليه جميع عقائدهم واذا كان النصارى والمسلمون واليهود لايقولون ان كل عبادات الوثنيين باطلة بل يقولون ان فيها شيئا من الحقيقة . فكيف يجسر عاقل ان يقول أن الديانة المسيحية كلها باطلة ومغلوطة من أولها إلى آخرها لانها تقوم على عقيدة الصلب من أولها الى آخرها كما أوضحنا

الصلب من أكبر حقائق التاريخ

فقد تناول حقيقة صلب المسيح مشاهير المؤرخين من يهود ووثنيين

(١) تاستوس المؤرخ الوثني الشهير الذي وضع تاريخ الامبراطورية الرومانية من موت أغسطس قيصر الى موت نيرون من (سنة ١٤ - ٦٨ م) قال في الفصل الخامس عشر من كتابه عن المسيحيين ما يأتي :

« هذا الاسم مشتق من المسيح الذي قتل بأمر بيلاطس البنطي الوالي في حكم طيباريوس

ومعلوم أن تاستوس هذا وهو يكتب عن حادثة صلب المسيح التي كانت ماثلة في أذهان الجميع كان متصلا بسجلات الرومانيين الرسمية وكانت هذه الأخبار ترد من كل مقاطعة وضمنها مقاطعة فلسطين التي ورد منها ذلك التقرير المشهور الذي رفعه بيلاطس الى الامبراطور في رومية عن حادثة صلب المسيح وموته وهو محفوظ في سجلات رومية

(٢) وهناك فيلسوف يوناني يدعى سلسوس الف كتابا ذاك الوقت سماه الاعتراضات على المسيحية وخنه الانتقادات عليها وعلى صاحبها قال ضمن ما كتب هازئاً بالمسيح : « بانه هو الاله المتجسد انكره أحد تلاميذه وخانه آخر منهم وحكم عليه بالموت أخيراً وكان يدعوه في كتابه « المصلوب »

(٣) وكان لوسيان الفيلسوف اليوناني أيضا معاصراً لسلسوس هذا وضع كتابا أسماه « دي مورتي بوكريني » ملأه بالسخرية والاستهزاء بالمسيحيين ومسيحهم فقال ضمن ما قال عنهم : قد رفضوا الآلهة اليونانية وصاروا يعبدون سفسطاً مصلوبا ويعيشون بحسب شرائعه

(٤) وهذه شهادات مؤرخى اليهود وعلى رأسهم يوسيفوس المؤرخ اليهودى الشهير الذى وضع تاريخ الامة اليهودية فى عشرين مجلداً هذا المؤرخ العظيم الذى حضر خراب أورشليم بعد صعود المسيح باربعين سنة كتب عن المسيح وعن سابقه يوحنا المعمدان فقال أن بيلاطس حكم على المسيح بالصلب حسب طلب رؤساء الشعب والذين أحبوا المسيح أولا لم يتركوه وهاهم باقون الى الآن مسيحيين نسبة اليه .

(٥) والحاخام يوحانان بن زكا تلميذ هليل الشهير ألف كتابا بالعبرانية دعاه «سيرة حياة يسوع الناصرى» كله شتائم وسب فى يسوع الناصرى جاء فيه : ان الملك وحكام اليهود أو حاخاماتهم حكموا على يسوع بالموت لانه جدف بقوله «أنا ابن الله ، انا الله. أنا قد أتيت الى أورشليم لابطل الأعياد والمواسم المقدسة ولاضع شريعة جديدة لاورشليم وأنا سأكفر بموتى عن كل الخطايا والذنوب وأقوم من الأموات . . . ولما اقتيد يسوع للموت فى مساء يوم الفصح كان يصرخ اليهود أمامه : «فلتهلك كل أعدائك يارب» وانهم وقتئذ علقوا يسوع على شجرة خارج أورشليم حسب أمر الملك ورؤساء اليهود وان كل اسرائيل نظروا هذا

(٦) وفى التلمود فى النسخة المطبوعة فى أمستردام سنة ١٦٤٠م ص ٤٣ فى الفصل المعنون «سانهدرين» كتب فيها ما يأتى :—

ان يسوع قد صلب قبل الفصح بيوم واحد ونودى أمامه مدة أربعين يوماً بأنه سيقتل لانه ساحر وقصد أن يخدع ويضل إسرائيل . وانه اذا كان أحد عنده شيء للدفاع عنه فليقدمه وبما أنه لم يتقدم أحد للدفاع عنه صلب فى مساء الفصح

فالقول بأن المسيح ما قتلوه وما صلبوه يؤدى الى :

١ ـ ان الأنبياء الذين سبقوا فتنبأوا عن صلب المسيح وموته بالكيفية الواردة فى الاناجيل والرسائل كانوا هم الآخرون أيضا واهمين فى تخيلات وتهيؤات باطلة شبه لهم أن المسيح سيموت مصلوبا وهو لم يمت وهذا القول يطعن فى نبوتهم وفى صدق الوحى الالهى ويجعل الناس يشكون فى كل نبى وفى كل نبوءة

٢ ـ هذا القول يطعن أيضاً فى الاوضاع الالهية من رموز وطقوس وضعها الله فى التوراة لليهود تمثل موت المسيح الكفارى

٣ ـ ويطعن أيضا فى التوراة والاناجيل والرسائل التى تدور حول محور موت المسيح والتى تنتشر فى كل صحائفه هذه الحقيقة

٤ ـ يطعن أيضا فى عبادة وديانة وعقائد وفضائل المسيحيين جميعا مع أن هذا لم يقل به المسلمون لان غاية ما ادعى به قصار العقول من المسلمين هو أن اليهود والنصارى حرفوا من توراتهم وانجيلهم الدلائل الواردة عن محمد فقط وأما كل التوراة والانجيل فهو صدق وحق .

٥ ـ هذا القول أيضاً يطعن فى صدق التاريخ ويجعل الناس لا يثقون بالتاريخ ولا يعولون عليه ويجعلونه عبثاً لا نفع منه وهذا لم يقل به أحد بل للتاريخ قيمته واحترامه ومن ينكره ينكر البشرية ووجودها وعقليتها وإيمانها وتقليدها وتواترها ونقلها

راجع صحيفة ٧ التى أوردنا فيها اقوال الامام الفخر الرازى إذ كان صريحا وعادلا فيما قال وان الواقع يؤيده بدليل أن المحاكم الاسلامية لا تجيز القول أن الله تعالى يلقى شبه انسان على انسان آخر بدليل أنه لو دخل أحد إلى المحكمة الشرعية مثلا يطعن فى صحة زواج على من خديجة وادعى بأن الزواج لم يقع يقينا بل شبه للمأذون أن الزوجين تراضيا أمامه وهما لم يتراضيا ووقعا على العقد وهما لم يوقعا وشبه له أن الشهود شهدوا ووقعوا بتوقيعاتهم وهم لم يوقعوا كما شبه للزوجين أنهما تزوجا وهما لم يتزوجا وشبه لهما انهما اجتمعا معا وهما لم يجتمعا وأن ثمرة الزواج التى أخلفاها وقيداها فى دفتر المواليد وهاهى تتكلم أمام القاضى ليست حقيقة انما شبه لهما أنهما ولدا ولداً وان عقد الزواج ليس يقينا انما شبه للقاضى أن أمامه عقد زواج وهو ليس بموجود أمامه

فهل يأخذ القاضى بهذا الادعاء ويحكم ببطلان الزواج وعدم وقوعه معتبراً الدلائل المحسوسة وهما وتخيلات وتهيؤات ام يصر القاضى على رفض هذا الادعاء ويحكم بصحة الزواج ووقوعه فعلا

وإذا تقدمت أمام محكمة الجنايات قضية أتهم فيها زيد بقتل عمر وتوفرت الشهود والأدلة العديدة من شهود رؤية وتقارير طبية وتحليـــلات كيمائية وآثار دم واعتراف المجرم

فقام المحامى عن المتهم وقال : ان زيداً لم يقتل عمراً وان عمراً لم يمت ولكن شبه للشهود أن زيداً قتل عمراً وهو لم يقتله وكذلك شبه للطبيب الشرعى أن الدم الذى فى ملابس القاتل هو من دم القتيل نفسه . وان المحكمة فى ما سمعته الآن من اعتراف القاتل بأنه قتل عمراً واهمة وشبه لها أن المجرم يعترف بجرمه وهو لم يعترفه وخيل اليها أن أمامها الشهود يشهدون وليس هناك شهود ولا شهادة

بناء عليه أطلب الحكم ببراءة المتهم والحكم على الشهود بالسجن والعقاب الصارم لانهم شهدوا وهم فى حالة تهيؤات وتخيلات بأن زيداً قتل عمراً وهو لم يقتله يقينا

فهل تأخذ المحكمة بأقوال الدفاع أم تضرب بأقواله عرض الحائط وتحكم على المتهم بالعقوبة وترمق المحامى بنظرة يفهم معناها ويذهب بمقتضاها الى مستشفى الأمراض العقلية

وإذا تقدم أحد الى المحكمة المدنية وادعى بأن العقد المسجل الذى يملكه زيد هو عقد باطل وان كان كتب أمام المحكمة واعترف البائع بانه باع لزيد وقبض الثمن وان كان زيد قد اعترف بالقبول . وان كان العقد قد تسجل ونقل التكليف ووضع المشترى يده على العقار واستغله مدة طويلة الا أن هذا العقد باطل لأن البيع لم يقع حقيقة ولا يقينا إذ كان المشترى واهما وشبه له أنه يشترى عقاراً وهو لم يشتر ! وان البائع لم يقبض ثمنا لعقاره ولا وقع على عقد بل شبه له أنه يقبض الثمن ويوقع ، وكذلك الشهود الذين شهدوا أمام المحكمة كانوا واهمين وشبه لهم أنهم يشهدون وهم لم يشهدوا ، وان قلم التسجيل كان فى تهيؤات وشبه له أنه يسجل عقد زيد وهو لم يسجل وكذلك كل ما تم من وضع يد واستثمار كان تهيؤات فى تهيؤات

فهل تأخذ المحكمة بهذه الأقوال مهما قدم صاحبها من الأدلة والمعجزات أم تحكم المحكمة بصحة البيع آخذة بالمحسوسات

واذا تقدم انسان الى الناس وقال ان الانبياء فى ما تنبأوا كانوا واهمين وما تكلموا حقا ولا صدقا ولكن شبه لهم فهل يجد هذا المدعى من يصدقه ؟ !

واذا قام انسان يقول ان التاريخ مبنى على الوهم والخيال وان التواتر وهم فى وهم وان الناس الذين رووا التاريخ لم يرووا حقائق يقينية بل شبه لهم انهم يكتبون حقا وهم يكتبون باطلا وان ما جاء فى حديث البخارى وحديث ابن مسلم وما جاء فى تاريخ ابن هشام والجبرتى والمقريزى أوهام فى أوهام وانهم فى ما كتبوا عن حوادث وروايات وأحاديث كانوا متخيلين فقط وشبه لهم ان يكتبوا شيئا وهم لم يكتبوا وان واقعة بدر وأمثالها لم تقع بل شبه لهم ان هناك واقعة وهى ليست بواقعة . وان محمداً نبى العرب لم يولد ولم يهاجر ولا غزا ولا حارب ولا جاهد ولا دخل غار حراء ولا رأى جبريل ولا تخاطب معه ولكن شبه له أو شبه للمؤرخين والرواة والمحدثين أن هذا كان وهو لم يكن ولكن شبه لهم

فهل يصدق مسلم واحد مهما كانت عقليته هذا الادعاء أم يرجمون قائله ويعتبرونه معتوها مصابا بمس فى عقله

فكيف اذا يتصور عاقل أن حادثة موت المسيح التى تنبأت عنها الانبياء واشتغلت بها صحائف التوراة والانجيل وشاهدها الناس بعيونهم وكتب عنها حكام الرومان وحفظوها فى سجلات امبراطوريتهم واعتقد النصارى واليهود بذلك وأصبحت هذه العقيدة من أسس العقائد وتغلغلت فى النفوس والعقول وغطست فى أعماق الارواح مستقرة تبعث البواعث وتدفع الدوافع الروحية وخصوصا ان الذين أوصلوا هذه الحقيقة الينا أتونا بالعجائب والمعجزات الباهرة . فكيف يمكن انكار هذه الحقيقة لمجرد ان يأتينا محمد بعد ستة قرون بدون معجزة ولا آية ولا دليل كالادلة التى اعتادها اليهود والمسيحيون ويقول لنا وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم

لا . لا يا اخوانى المسلمين ! ان محمداً لم يقصد أن ينكر موت المسيح قطعيا لان محمداً اعقل من ان يتعرض لهذه الاسئلة الدقيقة لانه ما كان يعدم وجود من يعترض عليه قائلا :

س : من المسئول عن خداع الناس وغشهم عند ما شبه لهم أن المسيح صلب وقتل وهو لم يصلب واذا كانت عقيدة الصلب كفراً فن الذى كفرهم واليسوا معذورين فى كفرهم لان الله أراد لهم هذا الكفر حينما خدعهم بالقاء شبه عيسى على انسان آخر فصلبوه عوضا عنه

س : وماذا يقصد الله بهذه المعجزة « الفطيس » التى بها رفع عيسى حيا الى السما والقى شبهه على غيره ؟

س : وما ذنب الناس الذين ظلوا ستة قرون يعتقدون ان المسيح مات حتى جاء محمد بعد ستة قرون يقول وما قتلوه يقينا

س : وأين كان الله تعالى طوال هذه السنين حتى انه تعالى بعد ٦٠٠ سنة ينبه الناس الى خطأ الاعتقاد بموت المسيح ؟

آه يا اخوانى المحبوبين لو تأملتم فى هذه الادلة والاسئلة الأخيرة لقلتم معنا حاشا لمحمد ان يكون قد قصد انكار موت المسيح وانما قصد ان المسيح مات حقا ويقينا بالجسد اما لاهوته فلم يمت يقينا بل مجازاً كما يقال ان زيداً اعتدى على الذات الملكية وذلك باهانة صورة جلالته أو تمثاله او رشق حجارة على سراى جلالته . فمع كون الاعتداء لم يقع يقينا على الذات الملكية الا انه وقع مجازاً لوقوعه على السراى التى يسكنها الملك أو صورته التى تمثله . وهكذا كانت آلام ابن الله واهاناته مجازية بالنسبة الى لاهوته ويقينه حقيقية بالنسبة الى ناسوته الذى حل فيه كل ملء اللاهوت